ورشـــــة النـــقـد للســـــرد الـــروائـــى

نموذجًا

سباعية الكاتب السيد حافظ الجزء الخامس { حتى يطمئن قلبى }

التجريب وانحرافات السرد في الرواية

نموذجًا

رواية " حتى يطمئن قلبى "

للكاتب السيد حافظ

الدكتورة/ نجاة صادق الجشعمى

الطبعة الأولي ٢٠٢١

الكتاب : التجريب وانحرافات السرد في الرواية - نموذجاً رواية "حتى يطمئن قلبى "
الكاتبة : د. نجاة صادق الجشعمى
الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"
البريد الالكترونى :justhappy_man2000@yahoo.com
Hafez66@live.com
تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨
الناشر : "العنوان" للنشر والتوزيع - الشارقة مويلح
ص.ب : ٨١٨١١ alenwan10@gmail.com
الناشر: دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر
تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢
الطبعة الاولى : القاهرة ٢٠٢١
رقم الإيداع : ٢٥٤١ / ٢٠٢١
دار الكتب والوثائق القومية
إدارة الإيداع القانونى
الترقيم الدولى : I.S.B.N 975 – 00 – 780 – 762 - 1
الغلاف :
تصميم وإخراج : خالد شعبان
الجمع والصف الالكترونى : وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : خالد شعبان
التوزيع :
دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر
الإسكندرية : ١٠ ش ابن الشجاع – الأزريطة – الإسكندرية – ج.م.ع
تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢
مكتبة ليلى : القاهرة – ش جواد حسنى – أمام بنك ناصر – متفرع من ش قصر النيل
تليفون: ٠١٠١٧٥٧٦١٥٩
مكتبة أكمل : الإسكندرية ١٨١ / ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى
تليفون: ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

الإهـداء

إلى والدي

صادق محمد الوداى

رمز الوفاء والعطاء والإنسانية

رؤى نقدية بقلم

د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. هاجر مباركى

د. أفكار أحمد زكى

د. سعيدة خلف

د. وفاء كمالو

د. كامليا عبد الفتاح

د. محمد مخيمر

د. داليا بدوي

د. رائدة العامري

أ. إيمان الزيات

أ. احمد محمد الشريف

أ. سحر الجابري

أ. بسنت حسين

أ. فاديا سلوم

أ. رضوى جابر

مقدمة الكاتبة

مقدمة كان حلمًا فخاطرًا فاحتمالًا ثم أضحى حقيقة لا خيالًا كان حلمًا أن يكون هناك مشروعًا نقديًا في ورشة نقدية لمجموعة من الباحثين والكتاب حول مشروع كاتب ما أو شاعر ما وقد تعودت الساحة النقدية على أن يكون للناقد حريته المطلقة في الاختيار أو التهميش لأنواع الإبداع المختلفة كان علي أن افكر بطريقة مختلفة أن يكون هناك مشروعًا نقديًا جماعيًا وليس فرديًا ، وواتتني الفكرة بأن نجتمع ثلة من النقاد المبدعين حول مشروع إبداعي لكاتب متميز له مشروع متعدد الجوانب والرؤى ويتيح لنا مشروعه التحرك والاجتهاد والاستبصار والتفرد ونحت مصطلحات جديدة على النوعية في السرد وعلى تشظي العمل الإبداعي في قانون خاص به وكانت تجربة السباعية الروائية التي كتبها الروائى السيد حافظ من ٢٠١٠ حتى ٢٠٢١ وهي :

السباعية الحافظية للكاتب السيد حافظ الروائى إلى الباحثين فى الأدب الروائى :

أولاً : رواية مسافرون بلا هوية – عام ١٩٩٧

ثانياً : رواية نسكافيه عام ٢٠١٠

ثالثاً : مشروع الملحمة الروائية للسيد حافظ فى ١٩ جزء رواية :

الجزء الأول : قهوة سادة عام ٢٠١١ خرج منها :

١- شهر زاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨

٢ - كرسى على البحر - ٢٠١٨

الجزء الثانى : رواية كابتشينو عام ٢٠١٢

خرج منها :

١ - نور وموسى الحبل السرى للروح ٢٠١٨

٢ - هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨

الجزء الثالث : رواية : ليالى دبى شاي أخضر ،شاي بالياسمين - عام ٢٠١٤

خرج :منها :

١ – الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨

٢ – وتحممت بعطرها ٢٠١٩

الجزء الرابع : رواية : كل من عليها خان – عام ٢٠١٥

خرج منها :

١ – نيروزى والبنت وجد ٢٠١٨

٢ – كل هذا الحب ٢٠١٩

الجزء الخامس : رواية : حتى يطمئن قلبى – عام ٢٠١٦

خرج منها :

١ – حكاية البنت لامار وقراقوش ٢٠١٩

٢ – نسيت أحلامى فى باريس ٢٠١٩

الجزء السادس رواية : ما أنا بكاتب – عام ٢٠١٧

خرج منها :

١ – وهمت به ٢٠١٨

٢ – شط إسكندرية يا شط الهوى ٢٠١٨

الجزء السابع والأخير رواية : لو لم أعشقها - عام ٢٠١٩

إنها فرصة ثمينة لنا نحن النقاد أن نجتمع في ورشة نقدية على مائدة مستديرة وكل منا يبحر شرقًا أو غربًا في المناهج النقدية ويصعد شمالًا أو جنوبًا للبحث عن أوجه التشابه والتناص والإختلاف والتفرد والتنوع والتأطير المستقبلي للحركة النقدية مستغلين هذا المشروع الرائع لنتحرك عليه وندخل في سراديبه ونفتح صناديق الجمل المغلقة ونكشف أسرار السحر وشعوذة اللغة ونفضح سر المكنون لنجعله المعلوم ، أشكر كل من تعاون معي من النقاد والناقدات على إمتداد الوطن العربي هؤلاء المبدعون الذين لا يبحثون عن مال أو شهرة أو مجد زائف بل يبحثون عن شعلة الحقيقة المقدسة في روح الأدب الذي يظل خالدًا وتفنى الأمم والشعوب ويفنى المبدعون والفلاسفة النقاد وتبقى الحقيقة في كتب وكلمات التي يحفظها جيل بعد جيل ولسنا ورشة نقدية منغلقة بل نحن منفتحون على كل من هو جاد لينضم إلينا ونرفض النقاد الباحثين عن المال والذين يمارسون الخديعة في كتبهم ليلًا ونهارًا فلأتوجه بالشكر مرة أخرى لكل فرسان وفارسات الورشة النقدية.

د . نجاة صادق الجشعمى

القاهرة ٢٩ مارس ٢٠٢١



التجريب وانحراف السرد في الرواية
حتى يطمئن قلبى
بقلم د. نجاة صادق الجشعمى

التجريب سمة العصر في شتى النواحي الأدبية بعد أن وصلت معظم المدارس الأدبية والنقدية والإبداعية إلى طريق مسدود وتكرار ممل أصبحت معظم الإبداعات والكتابات النقدية صناعة هشة ومكروهة فكان التجريب ضرورة للحياة الأدبية والفكرية لتجديد الخطاب الثقافي لكل أطيافه وأنواعه، والتجريب بدأ في الشعر مبكراً في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينات على يد نازك الملائكة وشعراء المهجر وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور..

أما في القصة القصيرة كان رائد التجريب فيها الكاتب محمد حافظ رجب (رحمه الله) وفي المسرح بدأ في أوائل السبعينات على يد الكاتب السيد حافظ وهو الرائد الأول للتجريب وفي الرواية بدأت على يد الكاتب صنع الله أبراهيم والكاتب محمد خيري حلمي الذي كتب رواية بعنوان (عبد الله يقرأ وبشرى تكتب طوال الليل).. وهما من رواد التجريب في الرواية لكن غاب مشروع التجريب لظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعاد بقوة إلى الحياة الأدبية في مشروع السباعية الحافظية التي كتبها الكاتب السيد حافظ.. فشهدت ورشة السرد اهتماما من قبل الباحثين والدارسين بتناول السباعية الحافظية السردية ودراسة جماليات وآليات ومعمارية بنائها، فالرواية فن من الفنون السردية تشغل المكان الواسع من نسيج الاجناس الأدبية.

والسباعية السردية هي أحدى مشاريع الكاتب السيد حافظ الذي يعد مشروعاً ومنجزاً لافتا في السنوات العشر الأخيرة ففي هذه الورشة تناولت النصوص السردية للسباعية الحافظية مع أعلام وكوكبة وفرسان

وفارسات في النقد الادبي من كافة أقطار الوطن العربي واختلفت الرؤى والنظريات والدراسات والبحوث النقدية ما بين الممتاز والجيد جداً والجيد والمقبول والضعيف وتباينت الموضوعات والعناوين من حيث الشمولية والخصوصية فمنهم من تناول المكان والزمان والمفهوم والطبيعة والعلاقة الجزئية بالكلية وعلاقة السرد بالأجناس الأدبية والغوص في التاريخ والعشق بأنواعه المقدس والمدنس والتجريب والشخصيات المرئية والورقية والفواصل والصور والعنونة ورصد المدن وكشف الحقائق التاريخية للأشخاص .. فيقول الكاتب في التاريخ ((ما أن اجتزت عتبة باب التاريخ حتى اكتشفت أن مصر لونها رمادي والبشر مشاعرهم أغلبها اصطناعي ..وعيونهم حزينة ورهيبة ومرتابة بشكل كبير ما أن اجتزت عتبة المعرفة حتى واجهت قنابل الجهلاء والأغبياء وزعماء فكر بلا روح أو ذاكرة أو إدراك ...فأنا لا أحكي التاريخ ولا أوري لكم بل أصححه...))

فنحن أمام مشروع متصل منفصل يعني كل جزء منفصل وأيضاً متصل بالأجزاء الاخرى؛ لأن للكاتب خبرة في الكتابة الدرامية خاصة له خبرة تلفزيونية وأيضاً للكاتب وعي ثقافي مكتنز في الحقائق التاريخية فحين يكتب يسرد ((سوف أقوم في هذه الرواية السردية الابتعاد عن التاريخ في الكتابة عن التاريخ المزور والمسكوت عنه في حياتنا لأنني مثلكم درست التاريخ المزور في المدرسة وحتى الآن ..ولكني بحثت وقرأت وصححت لعلي أنفع الناس وأكشف الغمامة عن عيونهم وأن يعملوا بعقولهم...))

وكذلك أكد الكاتب في السردية الحافظية في سرده للقيمة المكانية للمدن كذلك الفلسفة الشخصية للكاتب والناقد والدارس في آن واحد وصياغة وبناء السردية الحافظية من حيث الحوارات والتشكيل وثراء اللغة والعلاقة الحميمية والحتمية بين التقنيات الفنية للسردية الحافظية التي اندمجت مع أحداث الأجزاء في السبع روايات) وانصهرت الأحداث والاماكن كلها في نسيج واحد والشخصيات والافعال والحركات مما لاشك فيه أن الكاتب السيد حافظ أثرى السرد الروائي في هذه السباعية وصفاً وحواراً وبناءًاوتحليلاً وتعرية الشخصية العربية المضطهدة والمتسلطة والمغدورة المصابة بفايروس التهميش القسري في كثير من الأحيان مؤكداً أن الرواية أو الكتابة بصورة عامة ليس مجرد جمل تكتب وتحفظ في أدراج مكاتبنا يستمتع بها الغبار وتداعبها الاتربة والحشرات المتطفلة ولا أوراق ملونة منسقة وديكور مبرمج يسرق نظرات القارئ فينبهر بالشكل دون المضمون.. نحن لا نقف أمام مزاج الكاتب وذوقه في الغلاف والورق والطبع لكن بشرط يتماشى ويتجانس مع الأفكار والبنية الكلية للنص سواء رواية أو أي جنس أدبي أخر ..

غالباً ما وجدنا في نصوص الكاتب السيد حافظ الشمولية المتكاملة في البناء والفنيات التقنية فمن حيث الوصف نجد في السباعية الحافظية بصورة عامة ورواية (حتى يطمئن قلبي) وهي الجزء الرابع من السباعية مبني على الانتقاء والاستقصاء وقد كانت هناك دراسات بعضها أكدت أن السيد حافظ اعتمد الواقعية والبعض الاخر يؤكد أن الكاتب أجاد التفصيل بالوصف سواء للشخصيات أو الأماكن وقسماً أخر

يؤكد أن الكاتب خلق فضاء بمزاجه وأفكاره وثقافته الفكرية جعل الشخصيات تتحرك وهو يتحرك ويتماشى معها كأنما الكاتب يضع القارئ والدارس في فخ الإبداع غالبا؛ لكي يختبر الناقد أو ينتقي القارئ المثقف البسيط لهدف في نفس الكاتب أن يكون القارئ قد التقط جزيئات من تلك اللغة التي كتب بها أو تلك الإمكانية الخيالية لرسم المشاهد المكانية والزمانية فبهذا حقق الكاتب غايته التي سعى لها أن يشعر القارئ ويعيش عالم الواقع لا الخيال يغوص في تفاصيل التفاصيل، فهي قد تبدو تفاصيل صغيره لكنها إيهاميه يشارك القارئ بالدخول لهذه التفاصيل الصغيرة في عالم السيد حافظ وليس فتحي رضوان بطل الرواية فيشعر القارئ أنه يعيش حياة وسيرة الكاتب واقعيا ويخلق انطباعاً حقيقياً متأثراً ومتفاعلاً مع الكاتب السيد حافظ .. فهو إنسان قبل أن يكون شخصية روائية .. هو كاتب مسرح ورواية وقصة وإذاعة وتلفزيون وشاعر وكاتب صحفي ناجح وإداري متميز فمن لاشك فيه أن لكل روائي أو كاتب منهجه وأسلوبه في الكتابة أي بصمته وهويته الكتابية فلا يقتضي بالضرورة النجاح بكسب الجوائز التي كلنا يعرف وعلى دراية الطرق المؤدية لها .. فما الذي يريده السيد حافظ من الكتابة بعد أن أصبحت الجوائز لا تشغل تفكيره؟ ((لقد تحرر الحافظ من شهوة البحث عن الشهرة والجوائز الأدبية ودروع التكريم في الاحتفالات فما أجملك يا حافظ وأنت تكتب وتقرأ وتتأمل وتعشق بحرية متخلصاً من كوابيس الشهرة وعبودية الجوائز مستنفراً فكرك وثقافتك للكتابة والحب والوطن

والصحاب والعائلة وحب الاحفاد جيل النقاء للمستقبل وبذور تأصل المواهب وجينات الإبداع.... الكاتب السيد حافظ يقول:

((أنا أكتب إذن أنا موجود ، وحين لا أكتب فأنا مفقود ،،لماذا أكتب كل هذا الكم والكيف؛ لأني كما قال المتنبي ومحمود درويش أني على قلق كأن الريح تحتي)).

غالباً في رواية حتى يطمئن قلبي نجد الوصف الجيد قد ساعد على ظهور الشخصيات لكن المرتبطة بمزاج الكاتب وطبعه فتضامنت تلك الصور والشخصيات بالأماكن التي يختارها الكاتب ..لن تنتهي إلى هنا رحلة إبداع الكاتب السيد حافظ ما بين الماضي البعيد الواقعي والحاضر المستبصر الحداثي ومستقبل التمني بالخيال المثقل بالتفهم والتصور والاستفهام والاستنتاج ما بعد الحداثة الذي يستنبئ الكاتب أن هناك قارئ وناقد ودارس وصحيفة ودار نشر ومجله ومسؤول ومثقف قادم من بعيد قد يقرأ هذه السرديات يوم ما عن طريق الصدفة غير المعلنة فيعانق الحروف بحرقة شديدة وحب وندم على أوجاع وطن جريح وشعب مكتوف معصوب مشاغب يهاجر إلى بلاد وأرض ليس بلاده ولا أرضه بعيداً عن تنهيدة الروح والقلب لمواساة الوطن الجريح فلا يكتفي الكاتب بهذا وإنما تشاكسه الألفاظ والمعاني ...

تشاكسني الحروف وأنا المصلوب والمقهور والمغلوب والمظلوم وقلبي نور ..تصير حروفنا رمالاً ويصير الجهل موجاً فتضيع كل الحكايات في عتمة روح أوطاني فتشاكسني المواقف والألم ..يلاحق السيد حافظ المسكوت عنه، فلا يكتفي بل يرحل مع القارئ برحلة استجواب وتصدي

لتزيف تاريخ الأوطان حتى يطمئن قلبه بولادة الثبات في الحراك السياسي وليكشف ما تجسد داخله من تطلعات وقيم سامية فكثيراً ما ردد الكاتب في حواراته أن وظيفته إثارة الاسئلة دون الإجابة والمتلقي والباحث والدارس عليه البحث عن الحقيقة من مصادر مختلفة المهم الوصول إلى الحقيقة لعله يولد بيننا مفكر جديد قائد جديد سياسي جديد وعالم جديد دون أن يتعرض للاغتيال والقتل والتهميش والاعتقال والتعذيب أحياناً ..

رواية (حتى يطمئن قلبي) في هذه الرواية الكاتب يكتب الحاضر بحروف الغائب من التاريخ فيصف المجتمع والذات العربية فهنا الرواية تمثل علاقة حميمية بين السرد الروائي والتاريخ فتجلت الرواية بتميز بحيث لا يمكن أن نقرأ الرواية كتاريخ بل العكس نقرأ التاريخ بالرواية؛ لكي نتمتع بجمال البناء والسحر الدال ومتعة الكتابة للسرد الروائي الذي طالما سعى الكاتب السيد حافظ إلى خلق تقاطع فني بين التاريخ وفن السرد فالكاتب يحاول تجاوز الواقع المتخيل إلى الجرأة فكل آراء الكاتب تبقى سلسلة مفتوحة لامتناهية أمام قراءة الرؤى النَّقدية المتمكنة والقادرة على فهم كتابات الكاتب وخلق اتجاه معاكس لخلق التلاقي بين الأزمان؛ لمجابهة المحن المتمثلة في التخلف والتشتت القومي ..

حتى يطمئن قلبي رواية جموح بين التجريب والجدل وبين جماليات السرد وحكي شهرزاد وبين إدراك القارئ المتلقي والكيان الإبداعي المتمثل بالسيد حافظ فهو متأكد من أنه يبعث موجات من الوعي والحرية والتساؤلات مما تدفعنا كتاباته الى الانبهار حيث تكتمل الرؤى الفكرية

مع السرد الحافظي في رواية حتى يطمئن قلبي تلك الاتجاهات التي تجاوزت الإبداع الذي يظل محتفظاً بهويته الإبداعية ((كان شاور رجلاً أحمق بمعنى الكلمة ، فقد كان يسير في شوارع القاهرة في يوم الجمعة وبعد الصلاة قام أحد الزعران (البلطجية) بسبه وسط الناس ، ثم اختفى الأزعر .. وقف الوزير شاور في وسط الناس صائحاً

لقد سبني أحدكم، فمن الذي فعلها؟

لم يجب أحد..

من الذي سبني؟؟؟

لم يجب أحد..

ستندمون يا أهالي القاهرة.. على ما فعلتم.

في تلك الليلة أمر الوزير شاور جنوده بحصار القاهرة بالسيوف وضربها بالمجانيق المشتعلة فاحترقت البيوت.. حاول الناس إطفاء النار ..صرخ الناس . النار النار النار

فصاح العسكر.

سلمونا المجرم الذي سب الوزير الأمير شاور..

رواية حتى يطمئن قلبي تمثل منصة لمناقشة الروافد الحضارية والثقافية والتأريخية بصورة خاصة فلا عجب من احتشاد الأعمال السردية الحافظية بخطابات ومقولات وأنساق وخلفيات فكرية متعددة إضافة الى شخصية صلاح الدين الأيوبي يزيد النص الروائي في رواية حتى يطمئن قلبي تشوقاً والاستغراق بالحقائق التاريخية المذهلة وتسلسل الأحداث والنسق في السرد الروائي قد كسبها جرعات من التشويق والاستثارة

مع التنوع في التنقل في القصر وما يدور فيه ما بين الخدم والمسؤولين فالكاتب له ميول لاتعد ولا تحصى في رصد الحقائق التأريخية مع محاولات التجريب بل كان رائداً للتجريب في المسرح وكذلك الرواية خصوصاً ما يستدل به في الرواية بالإشارة إلى سياسة صلاح الدين الأيوبي وما فعله ومارسه من أبشع عمليات القتل الجماعي مما يفتح الباب لقراءة التاريخ مرات ومرات ومراجعة المصادر التأريخية ((كان صلاح الدين في ارتباك شديد من أمره ..لا يعرف ماذا يفعل ؟ كان قراقوش عبده الخصي الوسيم موجوداً في القاهرة.. ولم يستطع الوصول إلى سيده صلاح الدين الأيوبي في الاسكندرية... ((اجتمع صلاح الدين الأيوبي مع ائمة المساجد في الإسكندرية.. جلسوا خائفين ..مرتعدين بعضهم حزين وبعضهم يستعد للمديح .

حتى يطمئن قلبي رواية تناول فيها الكاتب الفترة التاريخية الواقعة أحداثها في القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر الميلادي في ظل الحكم الفاطمي والصراع الدائر حينذاك، فالتاريخ مكون من المكونات الثقافية وسير حياة القادة والأسر المعروفة بماضيها وحاضرها المعروف والتحولات التي ترافقهم على مر الأجيال والعصور ورصد حياتهم، فالتاريخ صناعة بشرية تخضع بشكل أو بآخر لضروريات وسياقات مختلفة ومادام المؤرخ بشر فغير معصوم من الخطأ والتزييف وتغير الحقائق وكتابتها حسب الطلب إلا ما رحم ربي.. وها هو صلاح الدين الأيوبي يثبت لنا هذا كيف يكتب التاريخ؟

صلاح الدين يحادث ولده وينصحه فيقول له هو من يرث العرش فما الذي سيكتبه التاريخ ؟

التاريخ ماذا سيقول عنا ؟

أنت أحمق التاريخ نحن من نكتبه ..

كيف .. المؤرخون هم الذين يكتبون ؟

بالمال نشتري الكثير من المؤرخين ويكتبون لنا ما نريده فهمت أنا خصصت مؤرخاً يكتب تاريخ أسرتنا ويكتب تاريخي

من الابن؟

القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد ويكتب كتاباً جميلاً النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .. اسم جميل ..ولكن يا أبي

اسمع من أبيك: هذه الأمة لا تقرأ وكما قلت للسلطان نور الدين محمود زنكنى عندما قال لي، عقل مصر

قلت : أمة ذاكرتها كالزير المثقوب انظر إلى مصر نسى الناس العاضد، نسوا الفاطميين حكموهم ٢٢٠ سنة .

أما السيد حافظ فيقول : إن عصر الرواية التقليدية قد انتهى وأدرك هذا نجيب محفوظ في آخر أيام حياته في روايته (أحلام فترة النقاهة) ولذلك فالجميع سيدخلون سواء بوعي أو بدون وعي إلى معركة التجديد من باب التجريب، قد يفلح البعض وقد يفشل الكثيرون ولكن سيتغير وجه الكتابة الروائية على وجه الكرة الأرضية... هذا تنبأ الكاتب السيد حافظ.

ختاماً

سيبقى أثر السباعية الروائية بصورة عامة ورواية "حتى يطمئن قلبي" لها سحرها وأثرها الفني يبقى مفتوحاً للدارسين الباحثين والمهتمين بالسرد الروائي والنقد الأدبي وحداثته مفتوحة القراءات النقدية لمن يهتم بالسباعية وفق منظور وذائقة علمية أكاديمية فنية تشبع وتنشأ لها روحاً داخل روح القارئ بالتقنية المعمارية للبناء وبالشخصيات النابضة بحياة وروح الكاتب والأحداث والحوارات وتلاقي الأزمنة والأماكن، وسيبقى مشروع السباعية الحافظية مشروع إبداعيا ضخما يحفزنا على التجديد والتجريب ونحن غارقون في عطاء الكاتب الفكري نتغذى من سحر كلماته ونستمتع بالقراءة لتنمية أفكارنا بالثقافة والمعرفة والجمال، فلا نندم حين لا نطمئن على من يجهلون القراءة والكتابة ونحن نمر ونقرأ حتى يطمئن قلبي.... كن مطمئناً أيها القارئ فأنت أمام رواية خلقت تآلف إبداعي ما بين البناء الذهني والروحي متوهجًا بالجمال والوعي والحرية الفكرية، سوف يؤرخ ذلك لك ككاتب ضرورة إبداعية وثروة ثقافية أدبية ...

نجاة صادق الجشعمي

الاربعاء ٢١يوليو ٢٠٢١



"حتىّ يطمئن قلبى"
بين القارئ اللازم والمتعدّي
دراسة بقلم
أ.د. هاجر مباركى

جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم – الجزائر

حكاية روح سهر الخامسة

...عندما يطرد المبدع من فراديس إبداعه ، ويشكّك بانتمائه إلى نبض جنانه ، لتعدو ومضاته الجمالية إبرا مسنونة تقضّ مضجعه وتهزّ أشجار رؤاه،، ما الذي يفعله؟ بل ما الذي يفعله حين تباغته هروات التّهم وطعنات الشائعات ؟؟ هل يمزّق كراريس بوحه ويترك ساحة الإبداع ؟؟؟ (وجدان الصائغ).

...الكتابة وجع يسكن أعماق الكاتب يسدّ نتوءات الجراح النازفة التي كانت ولا تزال تغيّبه وتقصيه، وحدها الكتابة بمقدورها أن تحدث خلخلة فيما هو سائد من القيم والأفكار، وتربك الذات ببعديها الفردي والجمعي، أمام جرأة السؤال التي تجعل الكلّ في مواجهة عارية أمام الذات... إنّها تفجير للمكبوت والمخفي، والرواية في مدائن السيد حافظ تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن؛ فالكتابة عنده فضاء يتحرك في حدوده زمن الإنسان، وهي أروع مزيج بين قدرة العقل وسلطة اللغة...

لا يعرف العشق إلاّ من يكابده....... ولا الصبابة إلاّ من يعانيها.

هكذا قال أحد الشعراء قديما في وصف حالته، وفي حالة مماثلة يكابد السيد حافظ في سياق مشروعه الروائي، عشق الكتابة ويعاني صبابتها، فلعلّ حلم الروائي بوطن ينأى عن الصراع، ويقوم على إعلاء صوت الحق ووأد الباطل، هو الذي دعاه إلى تحمّل عناء سبر أغوار الذات العربية بثقة عالية راسخة، متخلّصا من رواسب الماضي، في محاولة حثيثة لمجاوزته، ببثّ الوعي واستنهاض الفكر الراكد ومواجهة العتمة.

كتب السيد حافظ عن الروح والجسد وعشق الأوطان، تحت سطوة

الإحساس بالاقتلاع وعدم الاستقرار، مشدودا إلى الذاكرة والوطن في لوحة بانورامية روائية، تذوقها المتلقي عبر أول مشروب إبداعي ساخن في الديار الحافظية "قهوة سادة ".. عبق التوحيد في زمن اخناتون، وعفونة الصراع الأزلي بين رجال الدين والعسكر. ليطيب للقارئ الذوّاق المقام في رحاب الإبداع الحافظي ، بمشروب آخر "كابوتشينو" أراده الروائي امتدادا لروح إنسانية تعاني عذاباتها عبر الزمن، تجلّت في علاقة حب بين نور المصرية المؤمنة بالله الاخناتونية ومحب القائد الفرعوني المؤمن بفرعون إله، ليعبّر الكاتب عن هاجس لطالما شغل معظم كتاباته:" هل للحب دين؟ هل يملك البشر المحبة التي توحد العقائد؟ هل نملك القدرة على التبصير والبصيرة، والفهم والتّفهم، والقبول والتّقبل ؟؟؟ أم نبيع أحاسيسنا على الطرقات للماديات والتفاصيل الساذجة،ويمكن للفرد أن يفقد هذا الحب، ويمكن للمرأة أن تفقده، وللرجل أن يفقده و للوطن أن يفقده، هنا يكون الوطن بلا حب..."

... لا تنتهي رحلة التواصل مع الماضي وشخصياته المختلفة ، واقعية كانت أو متخيلة في رحاب الإبداع الحافظي، رحلة يمتزج فيها التاريخي بالأسطوري الملحمي، إضافة إلى الرؤيوي الصوفي، لتمتدّ بمساحة روائية خصبة في حضن " ليالي دبي"، تتجسّد في تضاعيفها بصورة قوية ومحورية، ظاهرة الاغتراب بشكل متميز؛ يكشف عن علاقة مرتجّة بين عالم الواقع وعالم طوباوي حمل عبءه الأنبياء والفلاسفة والمصلحون...بين شاي بالياسمين وآخر أخضر... يعيد الكاتب ترتيب علاقته بفكره في ضوء ارتجاج الوطن والتجاجه ،ليكشف عمّا يختمر

داخله من تطلّعات وقيم سامية تتعرض لإحباطات بفعل الصدام مع مجتمع عربي ، تشيع في أوساطه الآفات ،ويؤثر فيه الثبات على الحراك. ولعلّ هذا ما دعا الكاتب للقول :"أنا وظيفتي إثارة الأسئلة دون إجابة ، والمتلقي عليه البحث و الوصول إلى الحقيقة ،لعلّه بهذا الحراك يولد بيننا مفكّر جديد ، وزعيم جديد ،وسياسي جديد وعالم جديد، دون أن يتمّ اغتياله ،أو تشريده اجتماعيا وإنسانيا."

يعانق الكاتب بحرقة شديدة أوجاع وطنه الجريح في عالمه المكثّف والمتشعّب، ليجاهر وطنه روائيا بقوله : "كلّ من عليك يا وطني خان ".. في مساحة روائية تحشد مواقف الفجيعة والألم ، يلاحق السيد حافظ المسكوت عنه، ليمنحنا رؤية جديدة متجددة للواقع الإنساني، بعيدا عن قتامة الواقع، وفساد الإنسان، إنها تراجيديا الأزمنة العربية التي أودعت وعي مفكريها التراب.." تشاكسني الألفاظ والمعاني فأعاني يا غربتي في المشاعر وتنهيدة القلوب وجراح وطني وغياب الأمان... تشاكسني الحروف وأنا المصلوب والمقهور والمغلوب والمظلوم وقلبي نور... تصير حروفنا رمالا ويصير الجهل موجا فتضيع كل الحكايات في عتمة روح أوطاني ، فتشاكسني الجهالة والجمال" فكلّ من عليها خان " .

لا يكفّ السيد حافظ عن إثارة القارئ و إمتاعه فنيا، اختراقا لا تقليدا ، استشكالا لا مطابقة، إثارة للسؤال لا تقديما للأجوبة ، ومتصّديا لتزييف تاريخ الأوطان ،لا متصيّدا للأخطاء والزلل ، بمتعة مضاعفة يلامس من خلالها السحر الفني والفكري، ويلاحق جموح الخيال. بين التشويق والإثارة لا تزال روح سهر الأنثى الأسطورية ، تجتذب بعطرها كلّ من

يقترب منها ،وتجتذبنا معها بعطر أنوثة فواحة وروح متمرّدة... سهر حضور متميّز لشخصية نامية، استنسخ منها الروائي أرواحها الأربع نفر، نور ، شمس ، ووجد ليصل بنا عبر سياق روائي متلاحم إلى لامار، روحها الخامسة في سردية شائقة عنونها ب "حتى يطمئن قلبي ".إنّه اتّحاد الأفكار بالمشاعر، وتمثيل ناطق وتصوير صادق بين الحقيقة والخيال. وحين نخبئ النيل المقدس في قلوبنا خوفا من تلويث البشر له ولكي ولي.... تسألينني من أنا.. أنا شمس أحرفي تذيب الجميلات في نهر الجنون ويشربهم في نخب العشق فاحذريني الشمس في السماء ضياء وفى الأرض بهاء وماء وارتواء ونماء ونساء.. يهمّني اسمك والعنوان أنت الوحيدة التي عرت قلبي وروحي..

تثير معاينة ومقاربة العنوان "حتى يطمئن قلبي "قضية إبداع وتلق، هي علاقة تفاعلية بين مقاصد السيد حافظ في انتقاء دوال عنوانه، وبين إدراك القارئ لبنية هذا العنوان، التي تنحو به نحو حبكة فنية تتّبع مصائر الشخصيات واشتباك أفكارهم، وتعارك مبادئهم وتوجهاتهم، ضمن زخم من الأحداث تشكّل محرك السرد ،وتصنع تفرد هذا العمل الروائي.

شهرزاد ""كان يا ما كان"" تصور ساحر لعوالم تخييلية ،تشرّع أبوابها للقارئ في مساحة روائية تكتسي فيها الكتابة قوة رمزية، باتجّاه مقاومة التضعضع الفكري والاجتماعي ،و أسباب اليأس الإنساني ، وتسعف على صوغ أسئلة جذرية بحثا عن مستقبل أفضل. لا تزال شهرزاد القاصة المغرية لشهريار الملك تثير دواخلنا "فحين تجلس شهرزاد يهدأ المكان

وتسترخي الروح.. " لم تعد شهرزاد الجديدة في حضن الإبداع الحافظي تهاب الموت ،فلقد صار الحكي عندها رغبة وسلطة ،لا خوفا ورهبة ، ليطمئن قلبها وقلب القارئ، في رواية حافظية تتفتّح فيها اللغة الشعرية على التأويل ، وتغيب فيها الدلالة القطعية لتلامس المعنى حينا ،وتجاوره أحايين أخرى.

"إنّ الحب هو الشيئ الوحيد الذي لا يحتاج إلى تبرير "، ورواية "حتى يطمئنّ قلبي " لا يحتاج فيها حبّ الوطن إلى تبرير، " فالحب يساعدنا على الاستقرار والاستمرار." في عالم متداخل من التجارب المقروءة والمعيشة ،يستبطن الروائي مادة التاريخ وخاماتها لتتحوّل إلى سرد تخييلي دافق بالمعرفة والحركة والمعاني. فذكر صلاح الدين الأيوبي هو فتح لسجل التاريخ في رحلة إلى الماضي، وصولا إلى عالم لوثته أفاعيل الإنسان ، فكلّ إنجاز نحسبه اليوم إنجازا إنسانيا عظيما، إنّما يخفي خلفه أشلاء المسحوقين الذين داستهم آلة الاضطهاد وسياط الزبانية . إنّ الشخصية الروائية سواء كانت تاريخية أو أسطورية، إنمّا هي فضاء يتجلىّ فيه الزمان ،ويتحقق فيه المكان وجودا وكيانا .

الرواية تقع أحداثها في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي في ظلّ الحكم الفاطمي والصراع الدائر عصرئذ . التاريخ مكوّن من المكونات الثقافية يتأسس عليها الطابع الحضاري للأمة في مواجهة تحولات الحاضر وقضاياه ، فضلا عن كونه يمنحها هويتها المتفردة بين الأمم ، ولهذا تسعى لحفظه وبعثه عبر الأجيال، سعيا منها لحفظ كيانها الوجودي من الزوال ،هو رصد لحياة الإنسان عبر الأزمنة المتباينة ،لذا

فهو صناعة بشرية تخضع بشكل أو بآخر لضرورات العصر وسياقاته المختلفة، والتي ينبغي الإحاطة بها لفهم مضامينه الحقيقية، بعيدا عن الهالة التقديسية التي لفّت هذا الخطاب، وحولته إلى بنية مغلقة ، يكتسب معها شرعية مطلقة بوصفه المصدر الوحيد والأوحد للحقيقة .تشكّل إعادة كتابة التاريخ هاجسا لدى الروائي المصري السيد حافظ، في معظم أعماله الروائية إنّها إعادة ترميم التاريخ الرسمي المليئ بمساحات الصمت ،وهذا من أعظم هواجسه و أشدّها عناء كيف لا ؟ وسهام القوم بالنقذ تتقاذفه حيثما حلّ وارتحل ، وكأنّ درأ الشبهة وتقويم التزييف الحاصل في سجلات تاريخنا العربي العريق رجس من عمل السيد حافظ .يقول ابن خلدون الكاتب في مقدمته الشهيرة "مقدمة ابن خلدون " :"كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة ،النّقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثّاً أو سمينا لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلواّ عن الحقّ وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".مقدمة ابن خلدون(تأليف الإمام عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون تحقيق درويش جويدي. المكتبة العصرية صيدا بيروت) ص١٦ ". إنّ القول إنصاف للكاتب، فالتاريخ صناعة بشرية ليست منزهة عن الخطأ.

حتى يطمئنّ قلبي " تعبير عن الحاضر بذكر الغائب من صفحات التاريخ ، إنّها وصف لحالة العالم والمجتمع والذات .تقيم فيها الرواية مع التاريخ علاقة حميمية ،وفي هذا اللقاء بين شكلين مختلفين من المعرفة ، تتجلى

الكتابة الروائية بشكل متميز من البحث التاريخي ، يبحث من خلاله الروائي عن هويته وهوية المجتمع الذي ينتمي إليه. وبهذا لا يجب أن نعامل النص الروائي معاملة النص التاريخي ، فلا تقرأ الرواية بالتاريخ ، بل نقرأ التاريخ بالرواية حتى لا ننأى عن سحر الدال ومتعة الكتابة ، تسعى روايات السيد حافظ إلى خلق تقاطع فنّي بين التاريخ وفن القصّ، ومن هنا قام مشروعه الروائي على مساحات تاريخية متّصلة بحبل القصّ. فهي تدمج المتخيل في الواقعي، باعتبار الواقعي هو الأرضية التي تشتغل عليها وتحاول التأثير فيها . يتجاوز المتخيل الواقعي في الجرأة، وهو أشدّ منه وقعا في المتلقي ، فالمتخيل يقول الأشياء بصورة عارية .رواية "حتى تطمئن قلبي "لا تعرف النهاية تتضمن استباقات منها ما تحقّق على مستوى بنية النص، ومنها ما بقي معلّقا، كما أنّها تحمل دعوة للقارئ للتفكير والتدبر والمشاركة."""فالقراءة استهلاك للنص في رأي التقليديين والقراءة إنتاج للنص في رأي الحداثيين .والقراءة إفادة وإنتاج وتثاقف في رأي أولائك وهؤلاء جميعا"""(عبد المالك مرتاض "القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي" تجليات الحداثة) ص٣١.

.. كلّ أثر فنيّ يبقى مفتوحا على سلسلة لا متناهية من القراءات الممكنة ، وكلّ قراءة من هذه القراءات تعيد إحياء الأثر وفق منظور أو ذائقة.. وقراءة أعمال السيد حافظ الروائية، تشبع الذائقة وتنشئ لها مستقرا داخل روح القارئ، شخصياتها نابضة بالحياة، ومواقفها متفجرّة، تجمع بين الحاضر والماضي في اتجّاه معاكس الغرض منه خلق التلاقي بين

زمنين لفحص الكائن، واستجلاء ما سيكون على الصعيد القومي، الذي تجابهنا فيه اليوم محنة التخلف والتشتت القومي ، ويبقى المشروع الإبداعي الضخم للروائي المسرحي السيد حافظ ،بين قارئ لازم غارق في عطالة فكرية، لا يمتدّ أثره للعمل الإبداعي، مستهلك لا يلامس مواطن السحر والمتعة في الأثر الفني،و لا تتعدّى نظرته عتبة الاستفتاء بقبول النص أو رفضه، وقارئ متعدّي، مشارك ينتقد الأصلح لإبراز روعته، ويرقى بذائقته في قراءة النص الإبداعي، ويخلق التآلف في مساحات الإبداع. وروايات السيد حافظ لا تنقطع عن الإضافة باستمرار للبنية الذهنية والروحية ليتفاعل المتلقي مع بنية النص ويندمج فيها ، فمتى سيطمئن قلبه ؟؟..(فالكثير من المعرفة تصبح بطعم المرارة ،وتعجل بنهاية العمر عندما لا تجد أحدا بجانبك يشاركك البهجة والحزن فيما تكتب.. إنيّ أدون أفكاري لعل شخصا يجد فيها مفيدا ليستنسخها أو يتذكرها...أنت تحاول خلق الجمال والمعرفة ، وهم يمررون الجهل كنوع من المعرفة وينجحون.. لا تعذب نفسك بالندم على متاع الدنيا ، إنّ عزاءك في الكتابة والحياة والآخرة..) "كل من عليها خان"

د.هاجر مباركي
جامعة عبد الحميد بن باديس
الجزائر



قراءة نقدية في رواية
حتى يطمئن قلبى
بقلم د. أفكار أحمد زكى

تبدو رواية أو مسرحية أو مسرواية (حتى يطمئن قلبي) للكاتب الأديب السيد حافظ لمن يقرأها لأول نظرة أنها رواية تاريخية تسير على نهج من كتبوا الرواية التاريخية في العصر الحديث مثل جرجي زيدان؛ الذي كان يهدف من خلال كتابته الرواية التاريخية تعليم التاريخ لأنصاف المثقفين، فكتب الرواية التاريخية التعليمية الترفيهية. أما السيد حافظ فإنه يصرح في بداية عمله الأدبي الذي يمزج فيه بين القص الروائي والمشاهد المسرحية، بقوله (أنا لا أحكي التاريخ ولا أروي لكم بل أصححه..)[1]، ولكن القارئ الناقد المتريث حين يغوص في مسرواية (حتى يطمئن قلبي) يجدها تحمل قضايا الواقع المعاصر السياسية والاقتصادية من خلال أحداث التاريخ في نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية في مصر. لأنه كما تقول ندى حجازي في دراستها، عن "رضوى عاشور.. حين يتحول النص إلى سلاح مقاومة" : (تعمل النصوص الأدبية أحيانا كسلاح دفاعي ضد تحريف التاريخ أو تحييده، تلك السياسة التي غالبا ما تؤدي إلى تهميش الآخر وتشويه صورته..)[2]، ولكني أعترف بنظرة الناقد والقارئ لهذا العمل، أنه عمل أدبي فيه من الثراء والعمق ما يجعلك لا تترك فيه سطرا دون إضافة أو قيمة، أو رؤيا نقدية. رغم ما يبدو من المقدمات التي يكتبها الكاتب ويبثها بين ثنايا عمله تبدو بسيطة، فالكاتب يفضل أن يمارس لعبة الذكاء مع قارئه، (لأن القارئ الثقافي في حاجة إلى المتلقي الثقافي، والوعي

---

(١) السيد حافظ "حتى يطمئن قلبي " / ٢

(٢) ندى حجازي "رضوى عاشور حين يتحول النص إلى سلاح مقاومة" / ٣٠٣ مجلد "تحولات و جماليات الشكل الروائي" ط. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠١٥

المشترك بينهما هو الذي يصعد بالنص من الأدبية إلى الثقافية، وهو الذي يربط الإشباع المعرفي بالمتعة الجمالية..)[١]

رغم إيماني أن كاتب التاريخ غير كاتب الرواية، فإن الرواية مهما كانت تعتمد على الخيال في أحداثها و وقائعها، فإنها لا تكتب تاريخا منفصلا عن الحقائق التاريخية الثابتة والمعروفة والحقيقية، خاصة إذا كان كاتبها صاحب رؤيا و وعي. لذا نرى الكاتب السيد حافظ يسير في روايته في اتجاهين متوازيين يلتقيان عند هدف واحد في نهاية العمل، انطلاقا من القول (إن كل استدعاء للتراث في العمل الفني لا يعني البتة استدعاء المعاودة و التكرار بقدر ما يعني المغايرة وإعادة البناء)[٢]. فتبدو الأحداث التاريخية في العمل الأدبي (حتى يطمئن قلبي) في نسيج موازٍ لما يدور في واقعنا المعاصر من تطورات وصراعات سياسية واجتماعية على المستويين المصري والعربي. فحين يغترب "فتحي رضوان" المصري الشخصية الرئيسية في القصة المعاصرة، عن بلاده للعمل في الإمارات أو العراق للحصول على مصدر الرزق وتوفير سبل الحياة، يرفض ابن مماتى - رمز البطولة والصمود والعلم والثقافة والقيم والمبادئ في القصة التاريخية- البعد عن مصر إذ يعفو عنه قراقوش ويأمره بترك البلاد. ويقول ابن مماتي في نبرة ألم وأسى (ضوء المكان باعنى لقراقوش.. كيف.. أفهم؟ جاء الزمان الذي يترك فيه المصرى بلاده ويرحل بعيداً عنها ويهرب من حكامها الظالمين الذين هم ليسوا

(١) محمد عبد المطلب "القراءة الثقافية" /٣٠ ط. المجلس الأعلى للثقافة

(٢) منى طلبة "إعادة بناء التراث.. قراءة في روايات معاصرة" /٢٨٦ مجلد "تحولات و جماليات الشكل الروائي" ط. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠١٥ .

مصريين.. آه يا بلدى.)[1]، وهذ هي القضية الرئيسية التي يمكن تتبعها في المسرواية وهي قضية الحاكم الفاسد والحكم القهري الظالم، الذي لا يهتم بالرعية واحتياجاتها وحقوقها، مما يجعل أبناء الوطن المحبين له كما يقول فتحي (مصر ليل لا ينتهى.. شعب لا يرى الصبح أبدًا.. إن الله يحب المصريين حبًا خاصًا أرسل لهم الكثير من الأنبياء.. أكثر شعوب العالم الذين جاءهم أنبياء.. إن الله ينظر إلى المصريين برحمة تفوق الخيال.. أحن للبكاء على صدر الوطن فلا أجده..)[2] يبحثون عن مكان آخر تتوافر فيه سبل الحياة إما برغبتهم مثل فتحي أو قهرا وعنوة مثل ابن مماتى. حيث يجمع بينها رغم اختلاف الزمان ووحدة الوطن، حب مصر الوطن والأهل، كما يجمع بينهما حب العلم والثقافة والمعرفة التي تبحث عن الحق والحقيقة في مواجهة الجهل، وإن كان ابن مماتى حاول التأثير في العامة وتغييرهم وتعليمهم ولو بالفرقة المسرحية التي مثل فيها فريق القراقوز حتى يصل إلى الناس، بينما اكتفى فتحي بالكتابة الصحفية بعيدا عن الوطن، وما يعبر به من تغريدات تقطر حبا للوطن وأسى على حاله وحال أهله وبلاده. فيبدو الشعور بالغربة عن الوطن، فالوطن هو المحبوبة أو الأم التي نبحث عنها و عن صدرها وحنانه حين تحيط بنا الأحزان وتملأ قلبنا الهموم.

الكاتب وفكره وما ينتجه من فكر في كتاباته التي تمثل روحه، ووطنه الذي هو أيضا روحه، ثلاثية الإنسان والفكر والوطن يكملهم ضلع رابع

---

(١) السيد حافظ "حتى يطمئن قلبي" / ٤١١
(٢) "حتى يطمئن قلبي" / ١٥١

هو الحب، وفي هذا الإطار تدور مسرواية "حتى يطمئن قلبي"، من هنا يأتي قول الكاتب في مقدمته عن حضور الوطن النادر الذي لا يرى حقيقة ما يكتب الكاتب، وغيابه غالبا عن التاريخ الذي يخرج منه ثم يعود له الوعي وقد لا يعود، فهي رؤيا الكاتب الرابط القوي بين التاريخ والوعي لدى الوطن - ويعني بهم أبناء الوطن - وربما يلقي الكاتب هذه العلاقة بين الوطن والتاريخ في مقدمته، لأنه سوف يغوص داخل الوطن من خلال التاريخ في الصفحات التالية من الرواية.

رغم الحب للوطن الذي يعيش بداخل البطل والكاتب معا، فإن الكاتب غاضب من هذا الشعب أو عاتب عليه عتاب الأم إذ تقسو على ابنها حين يصدر منه ما يغضبها.

فتبدو صورة الشعب والناس في نظر الكاتب من مقدمته التي يصدر بها روايته، صورة غير محببة، مثال (اكتشفت أن مصر لونها رمادي.. والبشر مشاعرهم أغلبها اصطناعي..)[1]، (ما إن اجتزت عتبة الصفحة الأولى من الرواية حتى هاجمتنى ذكريات شعب فاجر).[2] ولا أدري سبب هذا، هل هو عدم رضا الكاتب عن الشعب أم عدم رضاه عن واقعه وما يعانيه، أم هي عبارات يستفز بها قارئه حتى يدخل إلى عالم الكاتب وعمله ليبحث عن حقيقة مشاعره نحو هذا الشعب؟

في الفصل الخامس من الرواية حين يعاتب نفسه حزنا على موقفه من سهر يعود مرة أخرى إلى مصر وشعبها فيقول (أنا ابن هذا الشعب

(١) السيد حافظ "حتى يطمئن قلبي" /٢
(٢) "حتى يطمئن قلبي" / ٢

الجاهل المتعصب)[1]، فهو يقر بمسؤوليته عن هذا الوطن وعن شعبه رغم ما فيه من عيوب و سلبيات.

يبدأ الكاتب بمقدمة كأنه يدافع عن مهمة الكاتب، حين يقول(..الكاتب ليس وظيفته أن يتدخل في كل شئ بل يترك المساحة للأبطال أن يتحركوا، ينفعلوا ، أن يمارسوا الحياة أو يحتلوا الموت ، أن يمارسوا الفضيلة أو يدنسوا براءتهم بالرذيلة لأنهم بشر وليسوا ملائكة.. أبناء الحياة والحياة ورطة فهم وطنيون وخونة شرفاء وفاسدون . ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)[2]، فالكاتب يحمل أبطاله المسئولية فيما يقولون أو يفعلون، حتى لا يأتي أحد المتربصين بالأدباء لمحاسبته عما يقول الكاتب على لسان شخصياته، وكأن الأصوات التي تحاسب مؤلف العمل الفني "المسرواية"، لما فيها من صراع بين الخير والشر والرذيلة والفضيلة- قد صارت تهدد الكتاب.

وعلى الجانب الآخر قد تكون المقدمة التي يصدر بها الكاتب عمله الأدبي صادمة لقارئه- رغم إتاحته الفرصة أمام القارئ ليشارك في العمل؛ لأنه حين يصرح بعدم سعيه للجمهور أو سعي الجمهور له، قد يترك انطباعا سلبيا لدى قارئ أعماله، وقد تكون لفتة ذكية من الكاتب يجذب بها القارئ حتى يبحث عن سبب هذا الإعراض المتبادل بين الكاتب و قارئه.

والكاتب لهذا لا يعبأ بالجوائز لأنه لا يكتب ما يرضي مانحي هذه الجوائز، لكنه يكتب ما يرضي ضميره ورؤيته بقدر ما يرضي الحق.

---

(١) "حتى يطمئن قلبي" /١٦٩

(٢) "حتى يطمئن قلبي" / ٢

في الفصول الأولى من العمل الأدبي – وهي الفصول الخاصة بالأحداث التاريخية- يزاوج الكاتب بين القضية الاقتصادية وأزمة المواطن البسيط، وبين الأزمة السياسية والحربية التي تعاني منها البلاد، حيث إهمال الحاكم، وضياع الدولة والسعي خلف الملذات والمتع الشخصية.

وتحتدم القضية حين يدخل قائد الجيش على الآمر بأحكام الله، ويخبره بما آلت إليه البلاد من سقوط المدن والاعتداء عليها من جيوش الفرنجة، وبما تعانيه البلاد من أزمات اقتصادية حيث ترتفع الأسعار، خاصة السلعة الرئيسية لطعام الشعب وهي "القمح"، وبعد كل هذا يطلب من قائد الجيش أن يدخل إليه الراقصين والراقصات، وكأن مهمة قائد الجيش أن يتحول إلى صاحب ملهى، وليس الدفاع عن البلاد والحرمات.

تستمر المقابلة بين حال الحاكم (الآمر بأحكام الله) ولهوه و بحثه عن النساء والعروس الاستثنائية من ناحية، و حال البلاد من سقوط الولايات واحدة تلو الأخرى. وعدم إدراكه الفرق بين المرأة والولاية حين تسقط في يد الأعداء. ويستمر الكاتب في رسم الأزمة التي تتمثل في غفلة الحاكم الآمر بأحكام الله رغم علمه بالكارثة التي لحقت بالبلاد من سقوط العديد من الولايات، والكارثة الأخرى التي تعم العباد من كساد وارتفاع في الأسعار، و تزداد الكارثة وضوحا حين يدخل وفد من العلماء للخليفة، وينتظرونه حتى يفرغ من لهوه وحمامه و طعامه، والأكثر من هذا حين يقول له كبير العلماء (ونحن معكم يا مولاي في السراء والضراء.

الآمر : لا.. لستم معنا.. أنتم ما شاء الله علماء البلاد لكم أمور الدين

ونحن لنا أمور الدنيا.)[1]

وتستمر غفلة الآمر بأحكام الله في حواره مع رسول عمانويل، الذي ينذر الخليفة بقدوم جيش عمانويل فيجيبه أنه مقدم على الزواج، فيقول الآمر بأحكام الله:

(فلتحضروا الجنود والفرسان.

الرسول : للحرب:

الآمر : لا للاحتفال وإقامة الأفراح لزواجي من الأميرة العالية)[2]

تبدو صورة الحاكم الضعيف المتراخي في حل المشكلات المهمل لرعيته وأزماتها، المهتم فقط بالمتع الملذات، كما تبدو صورة ضعف الحاكم في تركه كل قضايا البلاد في يد وزيره، الذي يشارك التجار وأصحاب الأعمال في مالهم على سبيل الإتاوة. ثم يتركه يزو حقيقة النصر المزيف على الفرنج وجيش عمانويل، وتزداد صورة فساد الحاكم وضعفه حين يترك زوجها (العالية)

يستمر الكاتب في تشكيل صورة الحاكم الضعيف المهمل لرعيته من خلال الضحكات التي تصحبه في كل المواقف الهزلية منها والجادة.

تتكرر المواقف التي ترسم صورة الحاكم الضعيف المتراخي حين يقف الشاعر "طراد" أمام الآمر بأحكام الله و المأمون، فيقول الشاعر (ينحني- أنا خادمك شاعر بني طيء.. جئت لأمدح مولاي .

المأمون: ليس لدى مولاي أي وقت.

---

(١) حتى يطمئن قلبي" ٤١

(٢) حتى يطمئن قلبي" ٤٤

أحمد : يا إلهي.. دع مولانا يتكلم.
الآمر : تحب الشعر والخمر والنساء؟
طراد : نعم يا مولاي .
الآمر : إذا سأشرب معك أو أتحدث معك فأنت ضيفي وسأقابلك هذا المساء.
أحمد : وأنا يا مولاي .
الآمر : أنت شاعر.
أحمد : لا أنا صديق الشاعر.
المأمون:إنه حمال في البستان.
طراد : إنه صديقي.
الآمر : في الكأس يلتقي الكبار والصغار.. لذلك أدعوه أيضاً.)[١]

يستمر الكاتب في رسم صورة الحاكم الفاسد ضعيف الشخصية باعترافه الذي يقوله لوزيره المأمون فيقول له

(المأمون: الديوان والأعيان.. الكل يسأل عنك منذ عام وأنت هنا والناس والوشايا والإشاعات.. اختفاء الخليفة.. صارت الحكاية سخيفة.
الآمر : هم السخفاء ماذا يريدون من الخليفة؟ الدولة تسير نفسها بنفسها.. الوزيريعرف ما دوره ورئيس الشرطة وكل موظف يعرف دوره ما المطلوب مني..؟ دعوني مع العالية.)[٢]

---

(١) حتى يطمئن قلبي" / ١٠٧
(٢) حتى يطمئن قلبي" /١٢١

نجح الكاتب في رسم صورة الحاكم الضعيف المهمل الذي لا يهتم بأمور الرعية أو البلاد حتى في أصعب الأوقات وقت الحرب فطلب الجنود و الجيش لا للحرب بل لحفل الزفاف، في حين يقف جيش عمانويل على مقربة من القاهرة استعدادا لاحتلالها.

(مأمون البطايحي لم يسلمنا الراتب.

زعتر : هذا الرجل غير معقول كل تجار مصر يشاركهم في مشاريعهم حتى مرتبات العاملين المساكين يأخذها في بطنه.)[١]

يبدو ضعف شخصية الحاكم في كل مواقفه سواء مع الوزير أو مع العلماء أو مع قائد الجيش، أو مع "العالية" التي كانت تفرض رأيها على الآمر بأحكام الله، لأنه كان دائم الاسترضاء لها وبالتالي كان مطيع لرأيها.

و هذا ما بدا في شخصية قراقوش في الدولة الأيوبية، حيث يرضخ لطلب لامار التي أحبها وتعلق بها رغم عدم قدرته الجنسية، وتنفيذه لطلباتها حين طلبت منه الإعفاء عن المسجونين و الإفراج عن ابن مماتى.

وفي القصة المعاصرة-قصة سهر وفتحي وشهر زاد ومنقذ-نجد منقذ ينفذ لسهر كل ما تطلب رغم علمه بخيانتها إياه، بل أكثر من هذا يحتفظ بالطفل الذي يشك في نسبه.

تستمر صورة الحاكم الفاسد بعد تولي صلاح الدين وتغير الدولة بانتهاء الحكم الفاطمي ونهاية شاور الوزير الفاسد المستبد، فنجد صورة أخرى من شاور الذي أحرق القاهرة لمدة خمس عشرة يوما، في وزير جديد

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٤٩

هو قراقوش وزير صلاح الدين الذي يسير على نفس النهج، وهذا ما جعل المصريين يضربون المثل بظلمه واستبداده في تولي أمرهم. ورغم هذا يستغل الحاكم الظالم الفاسد جهل واحتياج العامة في تزوير الحقيقة حين خرج الناس بالأجر لاستقبال قراقوش بعد فك أسره.

يقابل الكاتب بين معاناة الشعب وحال الفقر والجوع الذي يعانيه من ناحية، بين حياة الترف والبذخ التي يحياها الوالي "الآمر". ويتضح في الحوار بين سنية وأحمد حين يطلب منها أن تساعده كي يعمل في القصر، فيسير الحوار على هذا الطريق الذي يؤدي الوضوح حال المعانة التي عليها عامة الناس في القاهرة الفاطمية:

(أحمد : أنا موافق.. أحمل زبالة البستان وزبالة الخليفة.. وزبالة كل الأغنياء.)

سنيه : سأذهب للقصر.

أحمد : تطبخين للسلطان.. محظوظة.. هاتى لنا ما لديه من بقية الطعام.)[1]

فهذا التناقض بين أحوال الراعي والرعية، أبرز دلالات فساد الحاكم وسوء ولايته للرعية.

يأتي الكاتب بقراءة مستقبلية، حين يتحدث عن العلاقة بين الأغنياء والفقراء، فيقول الكاتب متوجها للقارئ – الذي اعتاد على أن يتوجه له بالخطاب المباشر منذ بداية الرواية- كنوع من توجيه الصحوة أو التنبيه، من خلال الفقرات التي يقطع بها الخط الدرامي للعمل الروائي (يا أول

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٥

الغرباء، وأول من فهم أن الإسلام دين الفقراء قبل الأثرياء و دين المساواة و ليس المحاباة بعد قرن و مايزيد ظهر ثائر جديد مثلك اسمه جيفارا رفض المنصب و رفض الجاه و كره الأغنياء ، سامحنا فنحن الجهلاء و كان أكثرنا لا يعقلون و يفقهون و لا يفهمون. طوبى لك و لهم.)(١)

الإسقاطات التي يقوم بها الكاتب من حين لآخر في الرواية، لربط بين أحداث ووقائع الرواية، وبين الواقع الذي يعيشه المجتمع العربي عامة والمصري خاصة، مثال؛(من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد اتجه المصريون إلى بناء المقابر الضخمة التي تسمى الأهرامات وكتبوا لنا في كتب التاريخ عظمة مصر في الأهرامات ونسوا أن يكتبوا أن عظمة مصر كلها تحويل الشعب إلى عبيد بأهداف كانت ترمى جميعها إلى حماية ووقاية جثمان واحد هو رئيس الدولة فرعون داخل مبنى فخم ضخم.. عقيدة رجل واحد.. وظلت مصر على هذا الحال حتى الآن.. ومن هنا صعوبة الديمقراطية واستعادة ثقة الشعب في نفسه)(٢)

الكاتب أو المفكر يحلم بعالم مثالي يبغي إسعاد جميع الناس لذا فقضية الحكم والحاكم وعلاقته بالرعية من القضايا الهامة التي تشغل المفكرين ابتداء من أفلاطون في جمهوريته، إذ (من الواجب ألا يمسك بزمام الحكم إلا من كان مؤهلا لذلك. و للإنسان في داخل نفسه القدرة على توجيه حياته على نحو من شأنه تحقيق غاياته الأساسية. تلك هي قدرة العقل،

(١) حتى يطمئن قلبي" / ٢١
(٢) حتى يطمئن قلبي" /٢٣٤

أعني معرفة ما هو خير بحق للإنسان، أن تنقذنا من أنواع الاختيارات العمياء، القصيرة النظر، التي تهدم نفسها بنفسها آخر الأمر، و التي نقوم بها في سعينا من أجل السعادة. و إذن فليحكم الدولة أولئك الذين توافرت لهم معرفة عقلية بما هو خير لها)[١]، وهذا ما جعل الكاتب يرسم لنا صورة للحاكم الأحمق الذي يفقد القدرة على التفكير السليم الصحيح في معالجة قضايا الدولة العسكرية و القضائية و الاجتماعية، فغاب العدل حين تولى الجدال مدعي العلم مرتكب المعاصي القضاء، و تولى الوزارة من لا يهتم بالرعية واحتياجاتها، ويرى القوة هي أداة الحاكم التي تبطش بالعامة، هكذا كانت صورة شاور في الحكم الفاطمي وكان قراقوش في الدولة الأيوبية.

تتصل بقضية العلاقة بين الراعي والرعية، والحاكم المستبد الأحمق، قضية العدل المفقود، وحين يكون الحاكم ظالما يكون ميزان العدل غير صالح، وهذا ما وصفه الكاتب بميزان العدل المقوس الذي يوضع في واجهة المحكمة التي يقف فيها عثمان ولامار، (.. اليوم محكمة قراقوش.. ويتقدم أصناف من الناس تشكو حالها وظروفها وضيق أحوالها.. تظهر لافتة في الخلف كتب عليها محكمة قراقوش.. كرسى في المستوى الثالث للقاضى.. كرسيان يميناً لمستشارى اليمين، وكرسيان يساراً لمستشارى اليسار.

في المستوى الثانى يميناً يوجد قضبان سجن وقد وقف القاضى عثمان

(١) جيروم ستولينيتز "النقد الفني – دراسة جمالية" /٥٠٥ ترجمة د. فؤاد زكريا ط. الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٣

ولامار. خلفها شرطيان يقفان أمام القفص وميزان العدل مقوس وظاهر الإعوجاج.. كتبت لافتة في الخلف بخط جميل.. محكمة قراقوش.)[١] فلا يمحو الخط الجميل ظهور الاعوجاج في ميزان العدل القوس في محكمة قراقوش.

ومن القضايا التي ترد في ثنايا العمل الأدبي خاصة الفصل الخامس، وما يتصل بأمر حكم صلاح الدين، وحواره مع ابنه في أمور الحكم وإدارة شئون الدولة، ما يوضح حقيقة القضاء وعمله من ناحية، وكتابة التاريخ من ناحية أخرى، مثال: (أنت أجرِ محاكمته أمام الناس حتى تأخذ المهابة ويخافوك واقتله بالقانون أتحب أن أرسل لك قضاة من مصر لدينا فيها الكثير فهم سلاحنا في الحكم.

- عندنا كثيرون متوفرون يطلبون الود..)[٢]

يزاوج الكاتب بين القضية الشخصية المتمثلة في علاقة الحب المحرم، وقضايا الوطن بكل ما تحمله من هموم سياسية واقتصادية، في أكثر من موضع في هذا العمل الأدبي، مثال:

(خرجت رائحة قهوتك من شرفتك ومرت في الفضاء والمدن والحارات انتعش ورد الحدائق وقلوب الرجال في كل المدن انتعشت انتبهت أما النساء فمن غيظهن كسرن الفناجين غيظا وغضبا أما قلبي فانكسر لأنك لازلت هناك وأنا هنا غدا صباحا سألقاك صباح القهوة بالحب والهيل والقبلات.. سأصارع حتى الموت أمواج بحر اليأس حتى وأنا أغرق مع

---

١ حتى يطمئن قلبي" /٣٦٢

٢ حتى يطمئن قلبي" /٢٢٤

الوطن.)[١]

ويتضح هذا من خلال تعليقات الكاتب التي تأتي في شكل منولوج داخلي بين فتحي ونفسه أو بين الكاتب ونفسه حين يقول في إحدى تغريداته، (همس الروح):

(أقسم بالله وبغبار الوحدة وحمراء الخد لأجعلها هي وكلماتي وطنا، والكتابة كفنا.. فالشعوب التي تبحث عن رغيف الخبز لاتعرف للحب ولا للشعر ثمناً.. لا ألومك حبيبتي فإن قلبي في محارة العشق لؤلؤة على صدرك فهل تقدرين الثمن.. صباحك ومساؤك لي القهوة التي أحبها مُرَّة وأعرف أنك مهرة أركبها وأطير على مدن الصفحات البيضاء أكتبها بدقات قلبك وعطرك لأخطط مخطوطات العشق لأهديها لك)[٢]

ولا يقف مفهوم الوطن لديه عند مصر بل يتعداه إلى الوطن الأكبر (أما ماتبقى من جيشنا ورجال الدين وأفكارنا وشعبنا والنظرات الضيقة تماما والرقص فوق جثة الوطن هل اسمه مصر أو بغداد أو سوريا أو اليمن أو تونس أم ليبيا أو البحرين .؟ لا أعرف أمة بلا عقل وضعت أحلامها في السراويل المظلمة والشهوات المحرمة...)[٣]

ويزداد الأمر أكثر من هذا، فالمزاوجة تكون بين المرأة والوطن والكتابة. هذه العناصر التي تشكل محاور الحب في حياة شخصية مثقفة مهمومة بهموم الوطن عاطفية تقع في الحب بكل ما تملك، حيث تمثل المحاور الثلاثة في حياة الشخصية البطل في الرواية محورا واحدا هو الإنسان

١ حتى يطمئن قلبي" /٢٠٨
(٢) حتى يطمئن قلبي" /٢١١
(٣) حتى يطمئن قلبي" /٢١٢

المعاصر.مثال قول الكاتب:

(- كل دا في راجل واحد.. ياراجل إلى أين توصلني أريدك أن تجنني مو هيك ؟

أنت شو أزمتك وأزمة الوطن معاك.؟

قلت لها لسنا في أزمة خطاب ديني فقط بل في أزمة خطاب إيديولوجي.. ورؤية اقتصادية.. وأزمة أخلاق وعدالة وضمير.. العالم يسير ونحن نتكلم كثيرا دون أن يسمع أحد منا الآخر.. اسمعيني جيدا ياسهر نحن في أزمة ضمير..)[١] حيث يناقش فتحي مع سهر قضية تغيير العالم بالكتابة، فلا تؤمن سهر بما يراه فتحي ممكنا فتقول له:

(مجنون أنت تحب الخطيئة وتريد تغيير الأمة ؟

- ولم لا؟

- لن يحدث أن تتغير الأمة، الناس لاتقرأ فتغيير الناس بالكتابة وهم

- وأظل أحلم وحلمي أن أضع في كلّ عقل مصباحا..بي وجد وبي غربة الأنبياء وبي حكمة الفلاسفة وجنون الرجال العاشقين.. أنا رجل بي بساطة غاندي و سقراط أنا المشاء وأنا دفء الشتاء والحكاء وأعرف سرّ خرافة الأشياء.)[٢]

وهنا تقف سهر على هذا التناقض الظاهر في شخصية فتحي - رغم حبها له - الذي يحلم بالمثالي وتطبيق المثل العليا بينما يرتكب كبيرة من الكبائر.

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٠

(٢) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٠

من القضايا الهامة التي يناقشها الكاتب في أكثر من موضع، قضية العلم والفكر وأهمية الكتاب وعلاقة كل هذه الأمور بالحكم وأمور الحكم والرعاية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أهميتها للعامة وللناس واعتبار الكتب كنوز أهم من كل المعادن النفيسة والمجوهرات. هذا في رؤيا مفكر يحمل كنوز من الكتب في جوال ويجب به كل مكان، أما الحاكم "صلاح الدين" الذي يصب جل اهتمامه على التصدي للعداء من صليبيين وغيرهم، فلا يرى قوة غير القوة العسكرية لذا يجعل وزيره من العسكر، ويرى أنه خير من يصلح، دون إدراك للعلاقة بينه وبين الناس، وكيف يدبر أمور العامة. ويتضح هذا التوجه في حوار يحمل معنى التحقيق والتهديد من صلاح الدين لابن مماتي:

(يا ابن مماتى.. أنا لا أحب الثقافة لأنها سخافة ولا أحب المثقفين لأنهم مثل دود الأرض يأكلون كل شئ.. الإنسان والنبات والحيوان.

يا مولاى السلطان الناصر العظيم.. الأدباء والشعراء والعلماء هم ذراعك.

العسكر هم ذراعى، هل سأحارب الأعداء الصليبيين.. ريتشارد قلب الأسد وملك أسبانيا وملك ألمانيا بالقصائد والشعر والكتب؟ هه؟

(يرتعد.. يسقط منه السروال.. يرفعه بسرعة) لا يا مولاى.. طبعاً ستحارب بالسيف والسهام والمجانيق.

إذن لا يصلح لمنصب الوزير إلا العسكر والجنود والفرسان.. صح؟

صح يا مولاى (يسقط السروال ويرفعه)

نحن الثلاثة هنا.. بالنهار جنب بعضنا البعض، وعندما نأخذ أجازة نظل

معاً.. ما هذا؟ أليس غريبا..)[١]

وفي النهاية تتوزع التهم ضد الثلاثة بالتساوي، و لا يستثنى واحد منهم من تهمة تضعه في القيود أو تودي بحياته.

وحين يأتي الشاعر طراد بن المهلهل لمدح الخليفة ويلتقي بالعالية تحدثه في أمر الناس في الشارع وفي الحارات ومدى إحساسه بهم ومشكلاتهم ومعاناتهم فتقول له :

(العالية : بماذا تمدحني. أنت تمدحني والزمان يرجمني ويجرمه.

طراد : لم أفهم.

العالية : أنت شاعر الخلفاء والأثرياء؟

طراد : نعم.

العالية: وهل للناس نصيب من شعرك؟

طراد :لم أفهم.

العالية : الناس في حواري مصر ..شاهدتهم؟

طراد : عاشرتهم أكثر من عام.

العالية : أكثر من عام لتعرفهم أم لتقابل الخليفة؟

طراد : يا أميرتي وسيدتي لقد شاهدت العجب والعجاب .في هذه البلاد

العالية : شاهدت ماذا؟

طراد : شاهدت القاهرة ..الناس ..الحارات ..القاهرة العامرة التي تضئ بأجمل سيدة في هذا الزمان..العالية)[٢]

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٩١

(٢) حتى يطمئن قلبي" /١٠٦

فتضع يديها على قضية من قضايا الواقع المعاصر وعلاقته بالفن عامة، وهي أن يعرف الفنان الناس ويشعر بما يعانون ويصور معاناتهم حين تقول له عاشرتهم أكثر من عام لتعرفهم أم لتقبل الخليفة؟

إذا كان الكاتب يناقش من خلال عمله، الذي يمزج فيه بين القصة المعاصرة والرواية التاريخية، قضية الحاكم الذي يتولى أمر مصر وشعبها، فإنه لا يغفل دور الشعب وقيمته(على كل حال يصبح تحقق الجماعة مصدرا مهما من مصادر تحقق الفرد، وقد يكون هو المصدر الوحيد و الكافي في الوقت نفسه للحصول على الإشباع الذاتي والرضا: فحين تنتصر الجماعة خلال معركة ما، يؤخذ النصر على محمل شخصي، و كأنما انتصر الفرد في معركته الخاصة، و الأمر عينه يحدث عند تلقي الهزيمة)[1] فتكون ضرورة أن يحكم مصر أحد أبنائها الذين يرتوون من ماء نيلها، فيقول :

(وقراقوش.. ماذا يفعل بالضبط؟

(يظهر في البرواز) أنا الحاكم الفعلى لمصر والسلطان صلاح الدين له المجد وأنا لي الشعب.. المصريون أقودهم وأحكمهم.. وأحرق وأبنى وأهدم وأعمر.. هذه هى بلادى..

وأين الناس؟

(يظهر في البرواز) حسرتى عليك يا شعب مصر.. حسرتى عليك يا بلد.. للآن لم يأت لك الولد.. يحكم أرضك وناسك.. شارب من ماء نيلك..

---

(١) بسمة عبد العزيز- أرق الهوية – مجلة فصول العددان ٨٧-٨٨ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤

مولود من أب مصرى وأم مصرية... حتى صلاح الدين الكردى ترك الصقلى يتحكم في العباد.. حسرتى عليك يا بلد.)[١]

وتثبت القضايا التي ينظرها قراقوش ويحكم فيها مدى الظلم الذي يقيم عليه قراقوش حكمه، مع جهله بالعديد من مجريات الأمور التي تخص العباد.

يأتي الكاتب برؤية فلسفية للحياة والمكان الذي يحيا الإنسان فيه على لسان أحمد زوج سنية حمال زبالة القصر، حين يقول للخليفة الآمر:

(أنا لا أحتمل العيش في القصر.. فأنا ابن الحارة وابن الضجيج والزحام ، والقصور هادئة لا تنفع.. زوج أختي قنديل يسكن القبور وهي هادئة تماما، ويشكو من الهدوء...

الآمر : القبور كالقصور؟

أحمد : نعم يا مولاي .في الهدوء وأنا أحب الضجيج والزحام.)

فالشعب والإنسان البسيط الذي يعيش في الحارة أو في البادية له وجود ودور في الحياة .

يبدو الكاتب مهموما بالأمة العربية من شرقها إلى غربها، من خلال سرده الأحداث، ووصفه المكان الذي تدور فيه أحداثه سواء في التاريخ أو في الحاضر، و ما لحق بها من تمزق وفرقة بين مواطنيها الذين يشتركون في لسان واحد ولغة واحدة وثقافة وتاريخ واحد لكن الوطن ليس واحدا، فأنت لست حرا في التجول والانتقال بين ربوعه إلا في الخيال، ومن أمثلة هذا قول الكاتب في إحدى منولوجاته التي تأتي على

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٦١

لسان بطله "فتحي":
(حيث ظننت أنى قادر على أن أشرب القهوة في مقهى باريس في تونس مع الأصدقاء وجريدة الصباح التونسية.. حيث ظننت أنى قادر على المرور في شارع الرشيد في بغداد وشراء سمك مسجوف. حيث ظننت أنى قادر على السير في السالمية في الكويت ذات صباح حيث ظننت أنى قادر على السير في الشارقة في شاطىء القصبة فجرا.. حيث ظننت أنى قادر واكتشفت أنى غير قادر على الرحيل فجيوبى خاوية معظم العمر وقلبى محتشد بألف حلم بسيط... أغوص في شفتيك عندما يغمض الحزن عينيه عنى وعندما يتوارى ظلم الجهالة لحظة إفاقة تاريخ العشق في أمسيات ليس لها عنوان في مدينتى التي تسكن حلمى.. هل نحن نملك أخلاقاً حقيقية.. أم أخلاقا من حلوى رخيصة؟)(١) فالصراع الذي يدور في نفس بطله بين قدرته على الانتقال عبر مدن العالم العربي باختلافها وبين عدم قدرته التي تتحكم فيها السياسات و المادة والمال، الذي يملكه البعض ويحرم منه الكثيرون ويسعى إليه أغلب الناس، لأنه أداتهم للمقدرة على الفعل من ناحية، ولأنه موزع بشكل غير عادل من ناحية أخرى.

في الجزء الثاني من هذا العمل الأدبي، ينتقل الكاتب ما بين العلاقات الاجتماعية بين شخصياته ـ مثل قصة الحب التي تقع بين سهر وفتحي رغم حرمة هذه العلاقةـ وبين الواقع السياسي العربي والاقتصادي، فيسجل موقفا قديما يقع من فتحي يتذكره حين يبول الرجل أمام الناس،

(١) "حتى يطمئن قلبي" /٢٦٦

فيذكر فتحي تبوله على باب جامعة الدول العربية في التحرير (ووقف في الطريق العام يتبول والناس تضحك والشرطة تنتظره حتى يفرغ ويقبض عليه.. تذكرت حين تبولت على بوابة جامعة الدول العربية وأنا أسير بالسيارة في ميدان التحرير ليلا وأنا خارج من كازينو الجريون وشعرت برغبة في التبول فوقفت بالسيارة أمام باب جامعة الدول العربية وتبولت ، هذه المنظمة التي تتحدث أكثر من ٧٠ سنة ولا تفعل شيئا..)[١] فيبث الكاتب بعض آرائه في واقعنا الحاضر وموقفه من بعض الهيئات الدولية أو العربية ومدى جدواها.

من القضايا الثانوية التي يتطرق إليها الكاتب في روايته قضية الوحدة المصرية والعلاقة بين المصريين رغم اختلاف الديانة و قضية الوحدة الوطنية وحب الوطن(أنت تعيش على أرض مصر.. أنا مصري.. مثلي مثل المسيحين ومثل المسلمين كلنا في نفس البلاء.. هل تعتقد أن المسيحين سينحازون ويقفون مع الصليبيين كرهاً في المسلمين.. هههههههه يا صديقي حب مصر أقوي منا.. نحن كلنا في مركب واحد لاتصدق الإشاعات)[٢]

ثم يستمر في تأكيد معنى هذه العلاقة التي تميز بين دين وآخر، وأن الشر لا علاقة له بالدين حين يقول في الحوار الدائر بين رشيد ويعقوب الحاخام (الشر ليس له دين يا رشيد وعلى أية حال اتفقنا هذا المال للحراسة ٥ سنوات)[٣]

(١) حتى يطمئن قلبي" /١٤٢
(٢) حتى يطمئن قلبي" /٨٩
(٣) حتى يطمئن قلبي" /٨٩

ويؤكد على هذا من خلال الحوار الدائر بين رشيد ويعقوب بقوله :
(- طيب ولكن أنصحك نصيحة غالية يا رشيد لا تحاول أن تكون مثل شاور وصلاح الدين؟

- **كيف ؟**
- **تقبض على الناس وتحاكمهم وتقتلهم في ساعة واحدة**
- **أه فهمت تتحدث عن محمود المسلم ووليم المسيحي ولوي اليهودي .**
- **نعم**
- **خونة الثلاثة خونة تعاونوا مع العدو الصليبي فقبضت عليهم وحاكمتهم وشنقتهم وعلقتهم على أبواب الحارات وقلت هذا مصير الخونة أنت تريدني أن أترك الخونة؟)**[١]

فيساوي في العقاب بين الشخصيات أيا كانت ديانتهم، ليتحقق العدل المفقود، كما يؤكد على هذا التساوي حين يعترف رشيد للحاخام حين يسأله: (هل صحيح أنك متزوج من ثلاث نساء مسلمة ويهودية ومسيحية
هههههههه نعم وكلهن مصريات وكل واحدة على دينها تمام)[٢]
ويبث الكاتب حكمته التي تؤكد على عدم التمييز بين المصريين على أساس الدين. من خلال الحوار الدائر بين يعقوب الحاخام ورشيد سيد الجبل حيث يخبره رشيد بقوله (على فكرة العصابة هذه ليست مسلمة ؟

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٩٠
(٢) حتى يطمئن قلبي" /٩٠

نعم..ماذا تقول ؟
مكونة من مسيحيين ومسلمين ويهود
الشر ليس له دين يا رشيد)[١]

من الشواهد التي تؤكد على الوحدة بين المصريين بصرف النظر عن دينهم، كونه يجعل عثمان حين يفر هاربا من شاور يختبئ عند يعقوب الحاخام اليهودي[٢]

من القضايا الجانبية التي تأتي في ثنايا حوار "العامة" عن الأزمة الاقتصادية في البلاد، قضية مياه النيل التي تروي القمح في مصر، حيث يقول على لسان شهبندر التجار في حواره مع أحمد : (القمح من الأرض، والأرض تحتاج مياه النيل ومياه النيل علمها عند الله.. ادعوا الله حتى يفتح لنا أبواب الخير بدلاً من الهجوم على التجار يا سي أحمد يا حمال.)[٣]

يستمر الكاتب في الانتقال من تناول القضية العاطفية وقصة علاقة الحب المحرم بين سهر وفتحي، وما تبعها من مشكلات، إلى قضايا الوطن وعامة الناس والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتحول عامة الناس إلى قدر من السذاجة تجعلهم يقبلون بغير المعقول (العوام هم قوة المستبد وقوته بهم عليهم يصول ويطول، يأسرهم، فيتهللون لشوكته، ويغتصب أموالهم فيحمدونه على إبقائه حياتهم، ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغرى بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف فى أموالهم

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٨٩
(٢) حتى يطمئن قلبي"/ ٨٦
(٣) حتى يطمئن قلبي"/ ٦٦

يقولون كريم، وإذا قتل منهم ولم يمثل بهم يعتبرونه رحيمًا، ويسوقهم إلى خطر الموت فيطيعونه حذر التوبيخ، وإن نقم عليه منهم بعض الشرفاء قاتلهم كأنهم بغاة.. والحاصل أن الجماهير يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة..

هكذا يقول عبد الرحمن الكواكبى فى طبائع الاستبداد..)(١)

أما عن الشخصيات في المسرواية فأولى الشخصيات التي تلفت انتباهنا في هذا العمل الأدبي هي شهرزاد التي تذكرنا بها في حكايات "ألف ليلة وليلة" حيث تقوم_بجانب دورها كصديقة لسهر وكاتمة أسرارها ومعرفتها حقيقة العلاقة التي تربط بين سهر وفتحي_ فالاسم يحمل نفس الدلالة الموروثة له، فهي تقوم بدور الراوية للقصة التاريخية، مثل شهرزاد "ألف ليلة وليلة" التي تحكي أغرب القصص والحكايات.

ثم يجعل لها الكاتب بعض السمات الخاصة بها التي تجعلها تشبه شهرزاد "ألف ليلة وليلة"؛ منها هذه الوحدة الوصفية التي يصفها بها كلما استعدت لحكي كل حكاية، هذه الوحدة المتمثلة في قول الكاتب لوصف سهر (..ابتسمت شهرزاد وارتشفت القهوة رشفة رشفتين ترتدى فستانا لونه أسود وبه نقط بيضاء بياقة حمراء..تفتح حقيبة يدها تخرج منديلا أسود به نقط بيضاء يشبه منديل أم كلثوم يشع بحكايات حب معطرة تنتشر فتغطى الخليج تمسح أطراف شفتيها.. تطويه مرة.. مرتين ثم تحتفظ به في يدها اليسرى و تخفيه بين النهدين تنظر يمينا شمالا أماما

(١) حتى يطمئن قلبي" /١٦٤

خلفا ثم تهمس:...)[١]

وفي كل مرة يتغير لون المنديل من الأبيض إلى الأحمر إلى الأسود إلى البني، وهذه الألوان لا ترد دون مبرر، ففي كل مرة يتسق الموقف في القصة مع لون المنديل الذي يحمل دلالة مع مضمون الفصل، مثال المنديل بلونه الأسود يأتي في حكاية شهرزاد بعد مأزق سهر وحملها التي لا تعرف أباه هل هو زوجها منقذ أو حبيبها وعشيقها فتحي. وحين تتجه الأحداث وجهة بين بين لا انفراج للأزمة التي وقع فيها كل من فتحي وسهر حين انكشف أمر علاقتهما لزوجيهما، تمزج شهرزاد ألوانها بين الأبيض والأسود. مع تغيير في الزي الذي ترتديه (جيب سوداء باريسية)[٢]، مع الاحتفاظ ببقية خواصها من حركات وتصرفات شخصية. يضفي الكاتب على شهرزاد بعض الصفات العصرية للشخصية، منها قوة الشخصية التي تجعلها تأخذ موقفا من فتحي فتبدو كارهة له وللمصريين. و موقفها من زوجها حيث تترك له البيت لمجرد شكها فيه حين عاد في إحدى الليالي سكران، ولا ترضى أن تعود معه حين ذهب لها عند سهر ابنة أختها يسترضيها.

أما الراوي والبطل في أحداث القصة المعاصرة فهو "فتحي" الصحفي المصري الذي يعمل في دولة الإمارات المتزوج من تهاني الزوج المثالية التي تقيم معه في الإمارات وفي ذات الوقت تكون صديقة غير مقربة من سهر عشيقة فتحي، وسهر ابنة أخت شهرزاد الراوية للأحداث

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /١٧٦

(٢) حتى يطمئن قلبي" /٣٠١

التاريخية التي تتخللها قصة لامار وضوء المكان وما بينها من علاقة.
وشخصية فتحي الراوي البطل الذي يحمل كثيرا من صفات الكاتب حيث العمل الصحفي و الاغتراب عن الوطن من أجل الرزق، رغم الحب الشديد الذي يحمله للوطن، فهو منتقد له ولسلبياته واستكانة شعبه، و ما يحمله تاريخ الوطن من تزييف للحقائق.
وفتحي رغم حبه لزوجه تهاني يعيش قصة حب وهيام وعشق يصل إلى العلاقة الجسدية مع سهر السورية المتزوجة. وهذه الازدواجية في شخصية فتحي هي نفسها الازدواجية في حبه للوطن رغم بعده عنه وعيشه الذي يكاد أن يكون مستقرا في بلد آخر هو الإمارات، وحياة فتحي تكاد تكون غير مستقرة لأنه يتلقى عرضا للعمل في العراق، ولما لهذا العمل من مزايا فإنه يتردد في قبوله، هذا التردد يعطي دلالة عدم الاستقرار مهما كانت المغريات المادية بعيدا عن الحب الكبير الوطن الذي نحزن ونتألم من أجله ونحمل همومه في كل مكان ننتقل إليه، فليس معنى حل القضية الاقتصادية المادية لأحدنا ترك الوطن يعاني وحده.
عثمان أحد الشخصيات في القصة التاريخية التي تدور في عصر صلاح الدين وهو شخصية تتدعي العلم بالدين حيث لم يكمل تعليمه الأزهري، ويدعي قدرته على صرف الجن وفك أعمال السحر(مأذون وإمام مسجد ومعالج بالقرآن وأعالج النساء من الجنّ والعفريت)[1]، وهو من يدعي تدينه في حين أنه يرتكتب المعاصي، وظل حتى سنحت له الفرصة ليصير قاضيا على القاهرة في عهد صلاح الدين، وهذه إحدى العلامات الدالة

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٤

على الفساد، فإذا كان القاضي الذي يقيم العدل ويحميه فاسدا فلا رجاء من صلاح البلاد أو العباد. لذا يبدو ميزان العدل مائلا في نهاية المسرواية.

أما العالية و لامار ففي كل منهما صفات مشتركة تجعل كلا منهما قادرة على أن تدير دفة الحاكم وتؤثر على قراراته؛ فالعالية ابنة البادية فائقة الجمال والذكاء يتزوجهاالآمر بأحكام الله ويحاول استرضائها بكل الطرق الممكنة وغير الممكنة(الآمر : وإذا أردت أن أعيش أنا وأنت في خيمة في البادية سأعيش معك ياالعالية وأترك هذا القصر في الحال.)(١) ، حتى بعد علمه بحبها لابن عمها ابن مباح فإن الآمر يظل يحبها. والعالية امرأة تتسم بسمات الشعب من حبها للعامة من الناس ومحاولة تغيير القرارات الظالمة التي يتخذها الآمر ضدهم بتأثير من وزيره.

أما لامار فإنها تشبه العالية في جمالها وشخصيتها غير أنها لم تتزوج قراقوش الذي يعجب بها ويسمع رأيها، وينفذ كل طلباتها فقط من أجل أن تبقى بجو اره، فحين طلبت منه الإفراج عن من ألقي القبض عليهم من عامة الشعب يستجيب لطلبها، وكذلك تطلب لامار من قراقوش الإفراج عن العدو الأول لقراقوش وهو ابن مماتى، فيستحيب لها بشرط أن يترك ابن مماتى مصر.

على جانب آخر من المسرواية، تتسق شخصية لامار التاريخية مع شخصية سهر المعاصرة في الحمل الذي يشكل قضية لها، فحمل سهر لا تعرف له أبا هل هو ابن زوجها السوري منقذ أم ابن حبيبها المصري

---

(١) حتى يطمئن قلبي"/٧٣

فتحي. بينما لامار تعرف أب من في داخلها، وهو ضوء المكان الذي اعتدى عليها، وأحبته لكنها لا تقبل به أبا لطفلها فتبحث له عن أب بديل، فيكون عثمان القاضي الذي يتصف بالكثير من الصفات غير المقبولة، ولكن لامار قادرة بقوة شخصيتها وثقتها بنفسها و بجمالها على أن تغيره فيقبل بالتغيير. فشخصية لامار قادرة على التأثير في كل من يلتقي بها أو يحبها، فهي قوية بجمالها، وهي امرأة استثنائية مثل العالية ومثل سهر. فالمرأة عند السيد حافظ تتخذ من جمالها دعما لقوة شخصيتها وقدرتها على التأثيرلافي مجريات الأمور بل والحكم.

تتسم اللغة التي يعتمد عليها السيد حافظ في سرد مسرواية "حتى – يطمئن قلبي" بأنها لغة تكاد تقترب من اللغة الشعرية في الحوار على لسان بعض الشخصيات والأمثلة على هذا كثيرة؛ منها:

قول العالية (يا ابن مياح يا ابن الخيمة.. يا فقيراً مثل الماء وثرياً مثل الهواء وقلبك الكبير يتسع كالصحراء..)[١].

وفي الحوار الدائر بين طراد الشاعر وبين أحمد فيقول طراد (المدينة خالية) ويجيب أحمد (الجيوب خاوية)[٢] حيث تؤثر الأزمة الآية والاقتصادية على حياة الناس في المدينة وعلى حركتهم داخل السوق.

و مثله الحوار بين الشاعر طراد و أحمد (- جئتَ للتجارة؟ - جئتُ للإمارة)، وقول العالية لابن مياح (إلى الدار.. والليل غدار)[٣]

وقول العالية لابن مياح (يا فقيراً مثل الماء وثرياً مثل الهواء وقلبك

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٤، ٣٥
(٢) حتى يطمئن قلبي" /٣٥
(٣) حتى يطمئن قلبي" /٣٩

الكبير يتسع كالصحراء)[١]
الحوار الدائر بين العالية ومأمون البطايحي، فيقول مأمون (أنت بلبل من فضاء السماء.
العالية : ما الذي يجري في هذا المساء؟)[٢]
ومثله قول مأمون للعالية: (ستأكلين وتشربين وتلعبين في أشياء من ذهب
العالية : عقلك قد ذهب.)
وفي هذا العمل الأدبي المتميز لغة شعرية تحتاج إلى دراسة منفصلة للوقوف على ما تحمله من دلالات وتوظيف في سياق العمل. ولا تقتصر اللغة على الحوار بل تأتي اللغة التي تكاد تقترب من الشاعرية على لسان الكاتب في بعض مواضع السرد التي يأتي بها البطل فتحي الصحفي الذي يكتب تغريدته لنشرها في الجريدة فتأتي في صورة تغريدة كما يسميها الكاتب، منها قوله: (أكتب مقالى تغريدة للوطن سجل أنى مزقت الهوية واللهجة الغبية ونسيت الهتافات المسروقة من جيب الجنرالات سجل منذ زمن مضى وأنا أصيح وفى الحنجرة ديك سجين فصيح.. لغته غير كل اللغات.. سجل أنا لا أحب الدخلاء ومروجى الإشاعات بأن عصر الانبياء مضى وأنا الرائى أرى طابورا من الأنبياء قادما يبسط على الأرض النور وأنا العصفور الذى يرى من فوق الأرض ما يجرى فى الغيب هناك... لا أعرف.) وهو هنا يبدو متأثرا بما كتبه الشاعر

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٨
(٢) حتى يطمئن قلبي" /٣٩

الفلسطيني محمود درويش (سجل أنا عربي) وما يتعلق بهذا التسجيل من قضايا معاصرة يعاني منها العربي، خاصة من فقد الهوية.

فيبدو إدراك الكاتب لحقيقة بطله الصحفي الكاتب الذي يدرك قيمة الكلمة والفكرة ، فلا يبدو غريبا أن تكون لغته التي يتحدث فيها مع نفسه (المونولوج الداخلي) مقطوعات أدبية تكاد تقترب من الشعر في لغته وصوره وموسيقاه في بعض الأحيان، وهذا ما كان يسميه الكاتب "تغريدة".(١)

تتكرر هذه "التغريدات"، وما يسميه الكاتب "همس الروح" التي تأتي في شكل قصيدة شعر إن جاز لنا استخدام مصطلح "قصيدة النثر". مثال: (وسمعت صوتك في الخيال يسرى في روحى في دمى في حروفى في صخرى وسحبى في حنايا الروح والأرض يغوص بى يلفنى يحاصرنى لأعود طفلا يحمل زهرة أو مجنونا يحمل قيثارة على بوابة عشاق التاريخ وعشقك المستحيل سيدة القصور يولد في قلبي ومشاعرى حنينا أن أغنى بين يديك تحت شجرة أو بحر أو في محراب.. النساء هبة السماء للرجال وأنت هبتى في ليلة القدر.. أسالك بحق الصمت والدلال والاقتراب والابتعاد وبكل حنان النساء المباح وغير المستباح بحق أغانى القمر لحظة الفرح والشجن افتحى قلبك الآن ستجدين قلمى وتنهيدة لي وورقة كتبتها و عطرا أرسلته لك أو بعض الكلمات و حنينا لقهوتى و رؤية وردتى البنفسجية ومعطفى في الشتاء أصرخ في ضلوعك وفى كلماتك وفى تنهيداتك الآن.. ستجدين حروفا نقشت أحبك

(١) راجع الرواية حتى يطمئن قلبي" /١٤٧- ١٤٨

أحبك..)[1]

من الفقرات الاعتراضية التي تتخلل نسيج العمل الأدبي ما يسميه الكاتب (ومضة) وهذه الومضات التي يختلف على حجمها وبعض سماتها الكتاب والنقاد إلى الآن، و إن كان كتابنا هنا يحاول من خلال سردها في ثنايا فصول عمله الأدبي أن يقول رسالة ما، فتبدو للقارئ الواعي المتأمل رسالة تضيء له بعض الطريق في سبيل الوصول للهدف من هذا الشكل الأدبي الجديد، الذي يحاول المزج بين الرواية والمسرحية، مع هذه المداخلات المتمثلة في الومضات والركعات والدعاء وغيرها.

أما عن الومضات فإن مثالا منها يوضح أن الكاتب لم يأتِ بها بشكل عشوائي أو من قبيل المصادفة، ولكنها تعد مردودا لأحداث العمل الأدبي، مثال الومضة التي يقول فيها :

(انتهيت من كتابة رسالة إلى الوطن ووضعتها فى ظرف وأمسكت القلم لأكتب العنوان فلم أتذكره فوضعت الخطاب فى سلة المهملات)[2]

حيث يأتي بهذه الومضة التي توحي بارتباطه بالوطن وحنينه إليه، ورغم ذلك فهو يتوه عن عنوان الوطن في غربته، وينسى عنوانه الذي لم يكن له أن ينسى أبدا(و أمسكت القلم لأكتب العنوان فلم أتذكره). وكان أقسى ما يمكن أن يفعله الإنسان المحب أن يلقي مشاعره وحنينه في سلة المهملات. وإنما جاء هذا بعد فصل تدور. أحداثه في دبي الصحفي مصري يعمل هناك، ويتلقى عرضا للعمل في العراق، ويدور الصراع في

---

(١) حتى يطمئن قلبي" / ٢٣٥
(٢) حتى يطمئن قلبي" /١٧٥

نفس فتحي بين قبول ورفض هذا العمل. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، وجود حمل غير شرعي من علاقة محرمة بين فتحي المصري وسهر السورية أثناء الوجود في دبي. هذه القضية التي يحمل همها فتحي مع هم العمل مع هموم الوطن وقضاياه التي تمتلئ بها روحه، قد تكون مبررا لومضة ينسى فيها عنوان الوطن رغم الحنين إليه، وهذا هو الضياع نفسه.

يقدم الكاتب بعض الأفكار التي تمثل رؤيا فلسفية تلخص فكره ورؤيته للحياة والواقع والإنسان. يصب فيها حكما عاما على موقف ما أو ما يشبه الحكمة الخالصة مثال :

(الأفكار لاتموت فى الكتب ولا بالقوانين ولا بالجلادين الأفكار تطير وتطير .الأديان فكرة وأفكار والسياسة فكرة وأفكار لا أحد يوقف النهار...)(١)

و(القلب المكسور لا يرى النور.. وقلوب البشر أغلبها مكسور إما من ضياع الأحلام أو غياب العدالة، وانتشار الظلم أو من الحب والشجن)(٢) حين كان يتحدث عن بحث والد لامار عنها ويأس من العثور عليها. ثم عقب بقوله (الحلم هو دواء خفى لجروح الروح ونورٌ بهىٌّ يسكن أعماقنا .علاج الله لنا حتى نهرب من بشاعة الواقع))(٣)

و(الأيام حبلى بالدسائس.. الأيام ليست جميلة.. القاهرة دامعة محروقة.. كل الأيام مزدحمة بالجوع.. الفرح قليل على أرض مصر؛ لذلك اخترع

---

(١) "حتى يطمئن قلبي" /١٤٦

(٢) حتى يطمئن قلبي" /١٢

(٣) حتى يطمئن قلبي" / ١٢

المصريون الكثير من الأعياد ليس لها أساس ؛ فالعيد يعني الفرح.)[1]
و(الحكم مصير والعمر قصير والدول مثل كأس نبيذ يشربه التاريخ رشفة رشفة وتنتهي.. ويبقى الكأس أقصد الأرض - لله..)[2]
و (فحُكمُ مصر الضعيفة الواهنة العجوز كان مطمحاً لكل الحكام منذ فجر الضمير)[3]
و(السلطان الحقيقى هو من يطلب المستحيل ويأتيه المستحيل ، ولكل سلطان وخليفة حلم وهدف وأمل ، وأنا هدفى الحب ، والحب يعنى بصريح العبارة النساء. أحب اللهو.. أحب الطرب.. أدفع للمطربين والمطربات والنساء الجميلات.. لا يهم المال، المهم أن تزن رأسك)[4]
حيث تعد كل فقرة أو عبارة منها قطعة أدبية ذات قيمة فكرية وجمالية تحتاج إلى دراسة تحليلية جمالية كقصيدة شعرية، لما تحمله من مغزى و دلالات.
يتميز أسلوب السيد حافظ في مسرواية "حتى- يطمئن قلبي" بظهور المؤثرات التراثية الدينية والشعبية في كتابته، فالتأثير القرآني يبدو في مواقف عديدة من عمله، من أمثلة هذا؛
(قال إنه سيبحث عنها في كل بلاد الدنيا حتى يعود بها إلى فطيمة ويلقي بفستانهاعلى وجهها لترتد بصيرة)[5] فقد البصر عند أم فطيمة حين فقدت ابنتها لامار مثل أبي يوسف يعقوب الذي ابيضت عيناه من الكباء

(١) حتى يطمئن قلبي" /١٤
(٢) حتى يطمئن قلبي" /١٥
(٣) حتى يطمئن قلبي" /١٥
(٤) حتى يطمئن قلبي" /٣٣
(٥) حتى يطمئن قلبي" /٦

لفقده ابنه يوسف، فيقول (أما أمها فطيمة فقد أصبحت عمياء من شدة البكاء على فراقها أمَّا أبوها أبو بكر فقد أخذ عهداً على نفسه أمام القبيلة ألّا يعود أبدًا إلا ومعه لامار وأن يبحث عنها بنفسه دون رفقة أحد من الأولاد أو الأصحاب وقال إنه سيبحث عنها في كل بلاد الدنيا حتى يعود بها إلى فطيمة ويلقي بفستانها على وجهها لترتد بصيرة....)[١]فيأخذ الكاتب من قصة يوسف عليه السلام العديد من السمات منها فقد البصر وقميص يوسف الذي يلقى على وجه أبيه فيرتد بصيرا.

قصة هدهد سليمان و وجه الشبه بين العالية حين تزوجت الخليفة الآمر بأحكام الله والهدهد، حيث يقع العقاب على كليهما بالحبس.(العالية تعيش عذاب هدهد سليمان حين فرق بينه وبين إلفه وحشره سليمان مع غير أبناء جنسه ونتف ريشه وألقى به في مدارج النمل لأنه تأخر عن موعد لقاء الملك سليمان..)[٢]

ويأتي تأثر الكاتب بقصة سليمان مرة ثانية حين ينتقل إلى الجزء الثاني من عمله، الذي يترك فيه التاريخ والدولة الفاطمية، لينتقل إلى قصة فتحي وسهر في دبي، فيقول في منولوج يدور في خلد فتحي حين يتذكر سهر (جلست أدخن سيجار على السرير لم أكن أفكر في شيء إلا مصر التي تحاصرني شكلا وموضوعا.. جرس الهاتف.. رفع السماعة

الو الو

لم يتكلم أحد.. هي سهر نعم هي سهر لقد سمعت صوت العصفور الذي

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /١١

(٢) حتى يطمئن قلبي" /٨٣

اشتراه منقذ لها.. هي الوحيدة التي تخاطب الطيور وأنا لا أجيد حديث الطيور فأنا مثل سليمان النبي في عشق النساء ولكن لا أجيد مخاطبة الطيور والحيوانات..)[١]

ويتكرر الأثر القرآني في الرواية حين يقول في المنولوج الداخلي لفتحي بعد اتصال سهر وعدم رده عليها، فحين يريد أن يعود إلى الحق يرجع إلى قول الحق في كتابه الكريم، العلاقة القوية بين البصيرة ومعرفة الحق لذا لجأ إلى قوله تعالى "أفلا يبصرون":

(وافتح كتاب الله لتقرأ.. وأكثرهم للحق كارهون.. وأكثرهم للحق منكرون.. أفلا يبصرون...)[٢]

أما التراث الشعبي : فغالبا ما يأتي الكاتب بهذه العبارات المستمدة من التراث الشعبي على لسان أهل الحارة المصرية؛ مثال ما جاء على لسان أحمد في حواره مع "زعتر" العطار، حيث يقول له: (:غداً ستموت يا "زعتر" يا عطار ويسير خلفك أهالى حارة "برجوان" والشيخ "شعبان" و"قنديل" يحفر لك قبرا.. والطبل والمزمار والنساء النائحات خلف نعشك الغالى..يصحنَ : يا سبعى يا جملى..)[٣]، (اليد قصيرة والعين بصيرة يا حمالة.) على لسان سنية.٤، في حوار أحمد مع بكري أخي العالية عند قدومه القاهرة أول مرة (:لا.. سأجعلك تمر بين الحراس كالشعرة من بين العجين.)[٥]، وقوله على لسان رشيد الحداد الذي يصنع

(١) حتى يطمئن قلبي" /١٤٠
(٢) حتى يطمئن قلبي" /١٥٠
(٣) حتى يطمئن قلبي" /٢٢
(٤) حتى يطمئن قلبي" /٣٥
(٥) حتى يطمئن قلبي" /٧٩

السلاح لصلاح الدين وجيشه، موجها حديثه لعثمان قاضي صلاح الدين مقرا حقيقة يستسلم لها المصريون (نحن المصريون من يتزوج أمي أقول له ياعمي)[1] للدلالة على استسلام العامة للأمر الواقع. والقول الشعبي الشهير بين المصريين:

(ابقى مع عمك عثمان (يهمس في أذنها) إنه لا يهش ولا ينش.)[2]

في أكثر من موقف ، فيقال على المستوى الشخصي وعلى المستوى السياسي، حيث تقال عن قراقوش بعد عودته من الأسر وبحثه عن ابن مماتى، كما تقال عن عثمان القاضي كبير السن في علاقته بلامار. للدلالة على عدم القدرة على فعل أي شيء له قيمة أو تأثير، وبالتالي انعدام خطورته.

أما عن السرد والحوار فقد افتتح الكاتب روايته بالعبارة التقليدية التي تفتتح بها الحكايات الشعبية والحواديت، وهي عبارة (كان يا ما كان) وهو في هذا يتسق مع سرده القصة على لسان "شهرذاد" وكأنه يحكي لنا قصة من حكايات (ألف ليلة وليلة).

يعتمد هذا العمل الأدبي على الحوار، لأن السرد فيه يكاد ينعدم، إلا ما كان مما جاء من سرد في بدايته، في صورة حوار بين سهر وهوى، واكتفى الكاتب بوصف انفعالات الشخصيات وحركاتها مع الحوار الخاص بها. وهذا إنما يقصده الكاتب عامدا لأنه يعد هذا العمل الروائي قريب الشكل من المسرحية.

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٢

(٢) حتى يطمئن قلبي" /٤٠٥

ثم يعود للسرد مرة أخرى في الفصل الرابع بعد الانتهاء من قصة العالية و الخليفة الآمر بأحكام الله، وينتقل إلى قصة شهر زاد و سهر مع فتحي.

لجأ الكاتب إلى السرد فيما يتعلق بالأحداث التاريخية، فلم ترد الأحداث والوقائع التاريخية من خلال الحوار – إلا فيما كان من صراع درامي في قصة حرب عمانويل واعتزامه غزو القاهرة- أما كل ما يتصل بصلاح الدين فإن الكاتب اعتمد فيه على السرد التاريخي، الذي يأتي على لسان رواية التاريخ في هذا العمل وهي شهرزاد.

لكن في بعض المواضع في المسرواية يأتي الحوار ليكمل به الكاتب قص الأحداث التاريخية، ولكن هذا لا يلغي أن الكاتب يطيل في القص بأسلوب السرد.

لا يفضل الكاتب في سرده أحداث عمله الوصف المفصل للمكان وطبيعته إلا ما ندر مثال وصفه الصالة في منزل فتحي ليدل من خلال وصفه على تنوع مصادر الحياة وأثاث المنزل ومكوناته، وثراء الحياة المادية هناك

(الزمان : مشهد نهار /داخلي

المكان : منزل فتحي /الصالة

درجة الحرارة ٢٧° داخل الحجرة مع التكييف

الصالة ممتدة ١٢ متر في ٥ امتار بها صالون أنيق صناعة الهند وستائر فخمة من إيطاليا.. هكذا الخليج أما السجاد فهو صناعة صينية تقلد الصناعة الإيرانية مع وجود إضاءة فاخرة في كل مكان في أرجاء الصالة.. مناضد مختلفة الأشكال مع باقة من الورود على السفرة ليست

صناعية.)[1] والكاتب في أغلب الأحيان يكتفي بذكر اسم المكان مع درجة الحرارة. لما لدرجة الحرارة والرطوبة في الجو من علاقة بتطور الأحداث.

أما عن السرد والحوار فيما يتصل بالقص التاريخي والوقائع التاريخية في العمل، تلك التي ترد على لسان الراوية "شهرزاد" فإنه يعتمد على السرد في أغلبه، حيث يكاد ينعدم الحوار إلا فيما ندر، لذا يأتي الحوار شبيها بالسرد لحقائق ليس فيها جدال أو نقاش رغم .أن هذه القضايا تعد مثار جدل، وليست حقيقة، فكل واقعة تاريخية تروى من وجهة نظر راويها وميوله ومعتقداته، وكان من الأفضل أن يرد هذا النقاش والجدال على لسان أبطال العمل، وحين يأتي بها الكاتب بهذا الأسلوب فإنه يبدو كمن يرى أنها ثابتة ولا جدال فيها.

إذا كان السرد التاريخي يأتي على لسان شهرزاد الراوية، فإن لهذا العمل الأدبي راويا آخر يسرد الأحداث ويرويها بلسان المتكلم لأنه بطل مشارك في الأحداث، مثل معظم الروايات التي يكون البطل هو الراوي وهو في نفس الوقت المؤلف، هذا البطل هو فتحي رضوان؛ الذي يبدو من اسمه دلالتان وهما الفتح الذي يقصده الكاتب من سرده التاريخ ورغبته في تصحيح بعض ما غمض أو أغلق على الناس وتم تزويره وتزييفه كما يقول في بداية عمله. أما رضوان فهو اسم حارس أحد أبواب الجنة التي يحلم بها المؤمنون ويعملون للوصول إليها. وهذا ما لا يتسق مع شخصية فتحي الذي يعيش الصراع بين الحلال والحرام

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /١٣٤

والحب والواجب، وهو يصرح بهذا في إحدى منولوجاته التي يكتبها في صورة "همس الروح" حيث يقول(أنا لا أكتب بالحروف بل بدموع المقدس والمدنّس وصوت زلزال الضمير وأنات تاريخ بلادي المزور أكتب بدقات قلوب رجال شرفاء حرق الوطن جثثهم أحياء جوعا وتهميشا وسوء تقدير ونفاهم في الذاكرة وهم أموات.. أنا لا اكتب بالحروف بل بالشمس والخسوف والمد والجذر وبدموع امرأه تعشقني دون حد ولاتخبرني ولاتخبر أحدا أكتب بمداد الواحد الأحد. شاغلتنى حاورتني دللتها تلك الحروف.. وحين اختليت بها.. قالت هيت لك" وحين هممت بضمها تحولت إلى قصيدة وحروف من نور فانكشف الساتر والمستور...

وأسأل نفسي كثيرا من أنا..)[١]

يلتزم الكاتب في الحوار بين شخصيات روايته التاريخية باللغة العربية الفصحى، إلا في بعض المواضع، يتجاوز الفصحى إلى العامية القريبة من الفصحى؛ مثل: الحوار بين مصباح وشعبان الذي أتى متخفيا في زي امرأة يريد من مصباح أن يخبئ، فيقول له مصباح (لا الوحيد الذي يستطيع أن يحميك يعقوب في حارة اليهود.

وديني عنده.

ما تروح أنت ؟)

ثم يستمر الحوار بينهما فيقول مصباح لشعبان (والله أنت مشكلة أنا هاوريك بيته وامشي

(١) حتى يطمئن قلبي" /٢٧٥

ماشي..
طول ما انت بتجري وراء النسوان ياما هتشوف..)٨٦ حيث يمزج بين الفصحى والعامية.

ويأتي الحوار باللهجة الخليجية بين شهرزاد وسهر، مثال: (أنت جنيتي يابنت؟
شو فيه؟
جبتي فتحي الدار هون؟
هون فين ؟
أنا شفته بسيارته الحمد لله حامد ماشافه كنا رحنا كلنا في داهية)
تتراوح العامية في الحوار بين عامية الشارع المصري ، وعامية أهل الخليج و الشام، ثم يعود الكاتب إلى الفصحى كلما عاد الحوار إلى فئة المثقفين، مثال الحوار بين فتحي وناجح (أنت مش ناصرى .

- نعم أرى الناصرية فى تشابك مع فكرة حزب البعث فى الحرية والاشتراكية والوحدة.
- هذه أمة بنيت على العبودية والسيد والعبد والكرباج يارجل انتبه.. لن تتخلى الأمة عن سيدها وشيخ قبيلتها وشيخها الدينى ولا عن العبودية المختارة..
- دعنى أتفاعل ياناجح.. دعنى أشعر أن هناك أمل ما.. ومستقبل ما.. السادات ترك مبارك والدولة ليست على مايرام نحن نذهب إلى جحيم مجهول

- أنتم المصريون تبحثون عن زعيم.
- نبحث عن فرعون تعودنا عليه ٧ ألاف سنة.
- شوف ما أريدك أن تذهب إلى العراق صدام جيد ولكن الحزب صعب.
- لا أريد إلا الأمان ماذا يريد الكاتب من المجتمع إلا الحب والبيت والصحة والوظيفة) ١٤٦

فنجد الحوار هنا يمزج بين العامية الخليجية وأحيانا المصرية، واللغة العربية الفصحى، لغة الثقافة والمثقفين.

وفي مواقف أخرى يبدو الحوار بين الشخصيات المثقفة ـ خاصة فتحي وزملاءه في الجريدة- باللغة العربية الفصحى، لكنها الفصحى السهلة التي تشبه العامية أو تكاد تقترب منها مثال الحوار بين عبد اللطيف الأشمر وفتحي في مدخل الجريدة :

(انتبهت على صوت عبد اللطيف الأشمر:

- ايه أنت نسيت أنت وصلت الجريدة انزل شوف شغلك
- حاضر.
- ما بك؟
- لا شيء.
- أنت عندك شغل كتير عاوزين ملحق فنى عن اليمن .
- حاضر.
- أحمد فتحى هنا المطرب اليمنى.
- جيد..

نزلت إلى مكتبى.)[١]

في بعض مواضع السرد التي تشبه الخواطر حيث يصب الكاتب فيها رؤيا ما لموقف أو للواقع، واقع الوطن وواقع التاريخ، وحين نتوقف عند نموذج من هذه الخواطر حيث يصف القاهرة ليلا في بداية عهد صلاح الدين: (الحواري في الليل أشبه بتوابيت يعيش فيها بشر يتنفسون.. الضوء شحيح في الحارات والأزقة قناديل قليلة مضيئة والباقى مظلم.. على ناصية الشارع يتمدد كلب بادية عليه ملامح الإرهاق والخمول لايبالي بالمارة الغرباء ولا ينبح فيهم..أمامه قطة منشغلة ببرتقالة جافة صغيرة ملقاة بجانبها.. على قارعة الطريق فأر يتحرك يمينا ويسارا أمام القطة والكلب.. توليفة غريبة بينهم تكشف رتابة الحياة وثقل الليالي... هنا القاهرة.)[٢] هذه المكونات الغريبة التي تتآلف فيها المتناقضات وتكون الصحبة بين الأعداء مثال القط والكلب والفأر. وهذا يحمل دلالة هذا الوطن الذي يتسع لكل المتناقضات.

ينجح الكاتب في تصوير الحال التي وصلت لها البلاد، على لسان ديمتري قائد عمانويل أثناء حوارهما معا بعد السيطرة على عكا و طرابلس و نابلس، فحين يقول (وسأجعل الجنود يفتكون بنساء القاهرة في الليل ويستحمون في النيل (يضحكان)

عمانويل : وسنذبح الآن المصريين ونلقي بهم للكلاب (يضحكان)[٣]

فتبدو مدى المهانة التي لحقت بكل الحرمات من الاعتداء على النساء

---

(١) حتى يطمئن قلبي" / ١٧١- ١٧٢

(٢) حتى يطمئن قلبي" /٣١٦

(٣) حتى يطمئن قلبي"/٤٠

إلى الاعتداء على نهر النيل وتدنيس مياهه.

أما عن الإخراج والمشاهد التي تحول الرواية إلى مسرحية فإن الكاتب ينهج في الفصل الأخير أسلوب الإخراج المسرحي؛ حيث يلعب بالألوان والضوء، هذه الأدوات الفنية التي تؤدي دورا هاما في دلالة المشاهد، مثال مشهد وصف حرق قراقوش الكتب الذي يقول فيه الكاتب – وهو صاحب فكر ورؤى ولابد أن يتسق المشهد ودلالته مع ما يؤمن به من قيمة الفكر والكتابة والكتب (عندما يهان الكتاب ويلقى في النار وتحرق الأفكار فعلى الدنيا السلام.) ثم يأتي المشهد بعد حوارات مع ضوء المكان وزنبيل وابن مماتي رمز العلم وإدراك قيمة الكتاب وحاميه، فينتقل إلى قراقوش: (ضوء على قراقوش) أحرقوا بيوت الكفار والملحدين الشيعة وأصحاب الأفكار الهدامة في مصر المحروسة.. وابنو سوراً كبيراً يضم مصر والقاهرة.. واهدموا المساجد التي تحمل الفتنة واهدموا الأهرامات الصغيرة في الجيزة.. لا أريد تماثيل وأهرامات وأثاراً بالية تقف في عرض الطريق.. وأحرقوا قصور العاضد بالله.والفاطميين كلها.

(إظلام))[1]

فيبدأ المشهد بتسليط الضوء على قراقوش نظرا لأهميته ومكانته في الدولة، وبعد الانتهاء من كلمة قراقوش التي يأمر فيها بحرق الكتب وهدم المساجد والبيوت والأهرامات الصغيرة، ونتيجة الظلام الذي يحل بالمكان ترتبا على القهر وسوء الولاية وعقم الفكر. يختتم الكاتب المشهد بالظلام.

(١) حتى يطمئن قلبي" /٣٥٩

ثم يعود إلى الإظلام مرة أخرى بعد تسليط الضوء على القاضي الفاضل- الذي يحمل نور الحق وينطق به معترضا على ما يحدث وما يرتكبه قراقوش من جرائم في حق العلم والمعرفة- وينهي مشهد صلاح الدين بالإظلام من جديد لأنه يترك ما يفعله قراقوش في البلاد والعباد ويتجه إلى الصليبيين:

القاضي الفاضل: (ضوء عليه) يا ناس حرام.. المسلم يحرق المسلم.. والأهرامات الصغيرة تهدم والآثار والمساجد والقبور..عمرو بن العاص لم يهدم تمثالا وأنتم تهدمون ارحمونا من قراقوش.. أين أنت يا صلاح الدين.. أين أنت يا سلطان المسلمين؟.

صلاح الدين : إن المعركة الأساسية هى الوحدة العربية أولاً ثم الوحدة الإسلامية ثانياً ثم تحرير القدس وهزيمة الصليبيين. (إظلام)

ويرى الكاتب من خلال هذه المشاهد أن اهتمام الحاكم بالسياسة الخارجية وبانتصاراتها فيها ليست بالضرورة كدلالة على نجاحه لأنه في المقابل يترك السياسة الداخلية وشئون البلاد والعباد في أيدي الظلمة الفاسدين من أمثال قراقوش الذي ضرب به المصريون الأمثال في الجور والظلم والقهر في حكمه المصريين.

ويمثل ابن مماتى بصفته وحرصه على العلم وكتب مصدر النور والضياء: (في ركن اليسار تظهر بقعة ضوء.. يظهر فيها ابن مماتى وهو يقرأ الرسالة)[1]

د. أفكار احمد زكى

القاهرة ٢٠١٧

---

(١) حتى يطمئن قلبي" /٤١٠



الحضور الثوري للذات الانثوية
في أعمال السيد حافظ
(رواية حتى يطمئن قلبى نموذجاً)
بقلم د. سعيدة خلف

منذ بدء الخليقة والأنثى تمتلك بداخلها ثورة ذاتية قد تكون خارجية علي الوضع الراهن التي تعيش فيه إما ضياع الأحلام أو توهج العشق والشجن أو أنتشار الظلم وأغتصاب الحقوق أو غياب العدل.

وتتشكل الثورة الذاتية عند الأنثى عن طريق عدة تشابكات: سياسية وإقتصادية و إجتماعية وثقافية، فإذا نظرنا الي القصص القرآني وجدناه مكتظ الثورات الأنثوية وعلي سبيل المثال: ثورة السيدة آسيا زوجة فرعون وإصراريها وقوة عزيمتها علي الأحتفاظ بطفلٍ وهو ((موسى)) عليه السلام في آنِ أمر فيه فرعون بقتل جميع الأطفال الذكور وإقناع فرعون بالعفوعنه قال تعالى " قرت عيني لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولد".[(١)]

وأيضاً تتفجر ثورة امرأة نبي الله لوطّاً في خيانتها لزوجها والتي تتمثل في شذوذها وموافقتها وتشجيعها لقومها علي القيام بفاحشتهم قال تعالى "وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عابدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ".[(٢)]

وكذلك اذا نظرنا الي بعض الشخصيات النسائية التاريخية نجدها متفجرة الثورات الذاتية ومنها شجر الدر التي أخفت خبر وفاة زوجها للحفاظ علي عرش مصر والتي تطلعت الي حكم مصر .

---

(١) سورة القصص الاية (٩)
(٢) سورة التحريم الاية (١٤)

وإذا نظرنا الي رواية (حتي ليطمئن قلبي) نجد أن الثورة الذاتية للانثى فيها و قوة تأثيرها تحتل مكاناً محورياً سواء كانت تمتد الي إقامة علاقة شرعية أو محرمة أو ثائرةعلي ضياع أحلامها أوتحقيق ذاتها.

وتمثل الثورة الذاتية للانثى رؤي عن الواقع الاجتماعي الذي نحن بصدده ومن أولى الثورات التي تقابلنا ثورة ضياع الحُلم ضياع الابنة والحبيبة والصديقة عند (فطيمة) والدة (لمار) يقول الكاتب "لمار وردة أنثي ... خدها من عشب بري أو ورد لايعرف من أي بستان؟؟؟ جنة أونار الجمال أو قصر سلطان من الجان؟؟؟.....أصبحت حلم كل الشباب المراهقين والرجال العجائز بنت نجران وجبال اليمن يغازلها النساء قبل الرجال والصقوروالعصفور وكل الطيور وكل ما هو مذكر علي الأرض"(١) ونظراً لما فيها البلاد من ظروف إجتماعية وإنتشار الظلم في آواخر أيام الدولة الفاطمية في عهدالخليفة(العاضد بالله) خيم الفقر علي البلاد.

وتكاتفت الظروف الإجتماعية مع توهج جمال (لمار) وتفجر أنوثتها لأختطافها "فقد وقعت في يد نخاس أسمه شقيان وهو زنجي له شارب طويل حملها الي سوق النخاسة مع العبيد الي مصر .. واكتشف في الطريق عطر جسدها بالصدفة وكان مدمن ضمر وغلمان وليس له في النساء إلا التجارة بهن"(٢)

(١) حتي يطمئن قلبي صـ٣٤
(٢) المرجع السابق صـ٣٥

وهنا تفجرت ثورة البكاء والألم والحسرة لفقد لمار فـ"صارت فطيمة أفقر أمرأة في مدينة نجران .. وهربت منها الجارات لأن كل حكاياتها حزينة عن المكتوب والزمن الذي يقهر الرجال والنساء وتبكي كثيراً وتتوسل الي الله،حريصة علي حضور كل الجنازات لتصرخ وتولول وتصيح وتبكي بكاءً احاراً"(١).

فظلت ثورة فطيمة علي غياب ابنتها متفجرة بالبكاء حتى أبيضت عيناها من الحزن ، يقول الكاتب: "كان هو أبو بكر والد لمار ..لقد جاء بقدمية الي أرض مصر كي يحضرها لأمها فطيمة لترتد بصيرة فقد أصبحت عمياء من كثرة البكاء"(٢).

وأيضاً ثورة لمار عند اختطافها ثورة خوف وقلق من مستقبل مرير من طمع الطامعين فيها، فالنخاس "أكتشف في الطريق عطر جسدها بالصدفة وكان مدمن خمر وغُلمان وليس له في النساء إلا التجارة بهن"(٣).

ولم تشعر بالأمان الإ في قصر العاضد " فحين التحقت بحريم (الخليفة العاضد بالله) شعرت بالأمان لأن كل من حولها نساء ، حيث يبلغ عدد الحريم والجواري أكثر من عشرين الف جارية كلهن جميلات من انحاء بلاد الدنيا "(٤).

---

(١) حتي يطمئن قلبي صـ٣٥
(٢) المرجع نفسه صـ٢٣٩
(٣) المرجع نفسه صـ ٣٥
(٤) المرجع السابق صـ٣٦

وكذلك ثورة (لمار) وخوفها من السارية فهي " أمرأة جميلة وقوية الشخصية وقوامها فتان تلهب خيال كل الرجال لايعرف من أي البلاد جاءت ولايستطيع أحد أن يسألها ....،والغريب أنها كانت لاتحب الرجال بل تحب النساء "(١).

ولم تكن لمار فقط هي الخائفة من السارية ولكن كان الخوف يسكن قلوب الجواري جميعهن يقول الكاتب: "دخلت السارية ؛فصعقت لمار وهوى فتظاهرتا بالنوم ،وغطت كل واحدة وجهها ،لكن المرأة أختارت واحدة منهما ، و قالت لها بصوت مرتفع

- تعالي أنتِ الخليفة يريدك..

بالطبع لم يكن الخليفة هو الذي يريدها ؛فقد أصبح ممارس الجنس الخفيف بطريقة صبيانية للغاية .. ولكن السارية أخذتها لنفسها ؛لتمضي معها الليل"(٢).

وما سبق من قول الكاتب يتضح لنا ثورة السارية الجنسية المحرمة لتتمتع بفتيات وجواري القصر وفعل الرزيلة معهن .

وكذا ثورة (لمار) الذاتية لضياع الحلم بالغضب والبكاء والعويل والصريخ لمقاومة الأغتصاب والشهوات المحرمة من جانب(ضوء المكان) يقول الكاتب: "أمسكها وجذبها من يدها وهي تقاوم دخل بها إلي خرابة بها كشك حقير به مصباح زين ضعيف ..دفع الباب وأخرج ساكنة رجل عجوز "(٣)

---

(١) حتي يطمئن قلبي صـ ٣٦
(٢) المرجع نفسه صـ٢٣٩
(٣) المرجع نفسه صـ ٣٠٣

ويستطرد الكاتب قوله "أغلق ضوء المكان الباب عليها وعليه خلع قميصه وهي ترتجف وخلع ملابسه وشدها إليه وهي تصرخ :

- يا مجنون

وهي تتأوه وتصرخ ..لكنه قد هاج وماج وصعد وهبط وهي تصرخ"[١]، ثورة بنت عذراء على فض بكارتها غصباً بطريقة غير شرعية من حيوان وغير آدمى "[٢].

وعندما علم (ضوء المكان)بعذريتها "شعر بالحزن لأول مرة في حياته حين رأى دم بكارتها"[٣]، وأيضاً ثارت (لمار) عندما شعرت بعلامات الحمل من قيئ وغيره من ألم ،يقول الكاتب:" قامت لمار وذهبت الى الحمام تتقيأ

- ضربت هوى علي صدرها..

- يالهوي يالهوي

- ليلة سوداء وبكاء لمار .. أغتصبها هذا الحقير.. وهي حامل الآن"[٤].

ومن أثر ثورتها "أنفجرت لمار في شلال من دموع تبكي بحرقة شديدة"[٥]؛ لتخلص من هذا الجنين الحرام التي لم تشعر به إلابعد أن أكتمل أربعة أشهر يسوق الكاتب علي لسان نديمة:"حرام أن ينزل الجنين دا عمره ٤ شهور"[٦].

---

(١) حتي يطمئن قلبي صـ٣٠٣
(٢) المرجع السابق صـ٣٠٣
(٣) المرجع نفسه صـ٣٠٤
(٤) المرجع نفسه صـ٣٧٣
(٥) المرجع نفسه صـ٣٧٣
(٦) المرجع نفسه صـ٣٧٤

وأيضاً من الثورات الذاتية في الرواية ، المتماثلة الي ثورة (لمار) (هوى) التي تكتنز طاقة ثورية من الأنفعالات الذاتية لمقاومة التحرش والأغتصاب والرزائل والمحرمات يقول الكاتب فيها:- "بنت البصرة قليلة الحظ قليلة الحيلة ألقت بها المقادير..هاهنا يستقر الامر في مصر تباع في سوق النخاسة ...وفي كل يوم تستيقظ هوى لتقاوم اغتصاب رجل لها سوء كان مسئولاً او حارساً او جندياً او خادماً او اميراً"(١).

ظلت تعاني (هوى)من القلق وعدم الارتياح والخوف ومقاومة شهوات شاور وهروبها منه حتي انفجرت انفعالاتها وحسرتها عند أختصابها "انتقم منها شاور لهروبها الدائم منه وتبرير وتحوير الحوار فقام بتكليف مجموعة من الزعران الفرقة الخاصة في جيشه يخطفها ليلاً من القصر وتم اغتصابها من رجل مقنع وهي مقيده اليدين والقدمين ...وقال لها شاور وهي تنزف :

- الذي لا يحترم شاور يا ما يشوف "(٢).

وكذا ثورتها حين تذكرت قصة اختطافها يوم مقابلة حبيبها فادي وهل كان متفق مع القراصنة لبيعها يقول الكاتب: ، "راحت لتقابل حبيبها بالقرب من نهر شط العرب ..كان أسمه فادي(٣)، وهنا تفجرت منها أنفعالات الشجن والعشق لمقابلة حبيبها وقد تحول هذا الي صدمة ثورة غضب وغيظ لأختطافيها"بالقرب من شط العرب كانت تقف المركب التي بها القراصنة فهجموا علي فادي وهوى وأمسكوابهما وكمموها وكتفوه

---

(١) حتي يطمئن قلبي صـ٢٨٣
(٢) المرجع السابق صـ٢٨٣-٢٨٤
(٣) المرجع نفسه صـ٢٨٤

وضربوه ثم جروا الي البحر حيث السفينة التي تقل الأسرى العبيد ..وقام آخر رجل يتجه للمركب بإلقاء صرة مال لفادي الذي يصرخ من الألم وهي تتجه بعيداااً شاهدت فادي ينهض من علي الأرض وهو يمسك صرة المال ويفتحها(١).

وكذلك ثورة الجوارى بخوفهن من قدوم الفرنجة وخاصة (لمار) و(هوى) وكيف يكون مصيرهن القتل أم الاغتصاب يقول الكاتب: "هل سيقتلونهن؟ هل سيغتصبونهن ثم يُلقى بهن الي الحظ والأيام والاحزان...؟"(٢).

وقد فضلا كلاً من(لمار) و(هوى) ان تلبس ملابس الخدم أفضل من بيعها أو أن يناما في بيوت الدعارة ، يسوق الكاتب على لسان لمار:

"فكرت يا (هوى) أنا وأنت نذهب الي المطبخ مع الخادمات ونرتدي ملابسهن ونقبل أيدى الست عدلات رئيسة الطباخين لو خرجنا وهربنا سنباع ونتسول دعينا نكون هنا في المطبخ مع الخدم افضل لنا"(٣)

وهنا توالدت فيهن ثورة الخوف والقلق من الوقوع في الرزيلة وصورة مستقبل مخيم عليه سحب الظلام ودخان التحرش والأغتصاب .

وفي نهاية المطاف عن(لمار) من واقع رؤيتي النقدية ربما كانت (لمار) رمزاً للوطن الحبيب مصر بكل ما تمتلكة من عوامل القوة والجمال والفتنة التي تجذب اليها الطامعين فهي تقع فريسة للأستعماروالأغتصاب ثم تعود لتقف مرة اخرى منتصرة علي أيدي أبنائها الذين يضحوا من

---

(١) رواية،حتي يطمئن قلبي صـ ٢٨٤

(٢) المرجع نفسه صـ٤١

(٣) المرجع نفسه ،صـ٢٨٥

أجلها، فهاهو(عثمان)زير النساء عاشق اللذات المحرمة يضحي بكل ملذاته من أجل الزواج من(لمار) علي الرغم من أدراكه أن أحشائها تحتضن جنين لم يكن من صلبه وإما عن ثورة (أسرار) الذاتية زوجة (شاور) والتي أنفجرت غضباً وغيرة باكية صارخة عندما شاهدت خيانة زوجها لها يقول الكاتب :"شاهدت(أسرار) زوجها شاور يضاجع جارية رومية في الحمام الخاص في جناحها الذي لايدخله أحد غيرها..فظلت تصرخ فهي لم تعتقد يوماً أن الجارية التي تصب له الماء علي جسده سوف يفعل فعلته الشنعاء معها"(١)

فهي ثورة ضد الخيانة وغيرة للأحتفاظ بكرامتها وتتحول هذه الثورة عند (أسرار) الي ثورة جنسية لتخون زوجها(شاور) مع (عثمان) الذي دخل عليها غرفتها لعلاجها فمارست الرزيلة معه.

يقول الكاتب:" كانت أسرارزوجة شاورفي حجرتها المظلمة إلامن شمعة دخل عليها عثمان وأغلق الباب وطلب من الخدم الخروج وأمرهم لا أحد يفتح الباب مهما كان صراخ المريضة إلا في الصباح وخلع جبته وتأكد من غلق الباب وأقترب منها هامساً .

-همس في أذنها..

- عمت مساءً يا أميرة..ما أسمك ياست الستات؟

- صرخت

- أبتعدوا عني..ياخونه يامجرمين

(١) رواية،حتي يطمئن قلبي صـ٢٨٥

شقت "أسرار" ملابسها وأصبحت عارية..شهق عندما شاهد جسدها العاري..حيث كانت كما ولدتها أمها..بيضاء كالثلج فاتنة..

- صاح مندهشاً

- الله اكبر ماشاء الله ماشاء الله..سبحان من خلق وخلع ملابسه كلها سأخرجه الأن،الأنوليس غداً"[1]

وعندما هرب(عثمان) من القصر أندلعت نيران العشق والرزيلة في قلب (أسرار)فظلت تبحث عنه كالمجنونة يسوق الكاتب علي لسان داغروش؟

- ما بها

- وهو يعالجها منذ شهر من العفريت الذي يركبها وكل يوم يغلق الباب عليهما من الصباح حتى المساء واليوم هرب"[2].

أما عن ثورة (العالية) فتنفجر بالعشق والشجن وهي بنت البادية الذائبة عشقاً في ابن عمها ابن مياح ويتزوجها الخليفة الآمر غصبًا

"العالية : ألف ناقة حمراء كان مهرعبلة.. أما مهري يا ابن مياح يا ابن عمي..ألف ماسة..ألف بستان..ألف بيت من الشعر يمدح جمالي وحسني وبهائي ولطفي وذكائي.

ابن المياح: ألف بيت من الشعر هذا ما أملكه يابنت العم أما الف ماسه فلا أستطيع .. لا أستطيع ؛ الماس لا يأتي إلا في أحلامنا ونحن نيام في خيامنا ندغدغ الوهم بالحقيقة يا فرستي الجامحة ..ماذا أفعل بأحلامك الطامحة ..؟ ألف قصر ..أنا

---

(١) حتي يطمئن قلبي صـ٥٤

(٢) المرجع السابق صـ ٨٦

لاأملك ألا خيمة حب خيمة حنان خيمة.. إخلاص ..خيمة قلبي الصغير المشاكس"[١].

وتثور (العالية) غضباً لرفض الزواج من الخليفة الآمر ،وتدفق من قلبها ينابيع الحب والعشق والهيام لابن مياح ؛ علي الرغم من أنه فقيروأعتراف لها بأنه غير قادر علي تحقيق أحلامها،يسوق الكاتب علي لسان العالية:"يتزوج فتاة من بدو الصعيد أي أمير هذا؟

- أم العالية:إنه خليفة المسلمين بنفسه ودخلت قصره
- أم العالية:غداً سنذهب الي القاهرة
- ابو العالية:لاتوجد فتاه في مصر ترفض الزواج من أي ملك أو أمير أوسلطان
- العالية:أنا يا أمي
- أبوالعالية: يا ابنتي إنه الخليفة
- العالية: أنا لا أحبه ولا أهواه"[٢].

وتتوج (العالية) ثورتها بالهروب الذي يرفضه ابن مياح يسوق الكاتب علي لسان :

- العالية : " اسمع يا ابن مياح.. لن أتزوج من الخليفة وسأهرب معك
- ابن مياح : تهربين معي؟
- العالية : نعم
- ابن مياح : أنا لا أستطيع أن أهرب يا العالية"[٣]

---

(١) حتي يطمئن قلبي صـ٦٩
(٢) المرجع نفسه صـ ٧٧
(٣) حتي يطمئن قلبي صـ٧٩

وبعد زواج(العالية) من (الخليفة الآمر) تحول مسار طاقتها الثورية التي تختزلها لتوظيفها لمقاومة الغلاء وقوة تأثيرهاعلي زوجها (الخليفة الآمر) يسوق الكاتب :علي لسان العالية:

" والناس التي تشكومن الغلاء؟ هل تعلم يامولاي أن سعر القمح وصل الي ثلاثين ديناراً للأردب الواحد؟

- الآمر: أنتِ يا كائني الجميل الرقيق تشغلين نفسك بأسعار القمح؟
- العالية: ما تفعل الناس يا مولاي عندما لا تجد الطعام"(١).

وظلت مشاعرالعالية متأججة بلهيب العشق وثورة الشجن لابن مياح وكانت تراسله بأشعارها بالرغم من عشق (الخليفة الآمر) لها الذي بنى لها أكبر قصر وهو(الهودج)، يسوق الكاتب علي لسان أحمد:" إنهم سيبنون أكبر قصر في التاريخ قصر يتمايل علي الماء في جزيرة الفسطاط.. الروضة.. للعالية سيدة مصر الأولى"(٢).

ومن أشعارالعشق (للعالية) في(ابن مياح) وهي زوجة (الخليفة الآمر) تقول:

"العالية: يا ابن مياح إليك المشتكى
مالك في بعدكم قد ملكا
كنت في حبي مطاعاً مدركاً
قائلاً ماشئت منكم آمرا
فأنا الآن بقصر موصد

---

(١) المرجع السابق صـ ٩٠
(٢) المرجع نفسه صـ ١١٩

لا أرى إلا حبيباً ممسكا
كم تثنينا بأخصام اللواء
حيث لا تخشى علينا دركاً
وتلاعبنا برملات الحمى
حيثما شاء طليق سلكاً"(١).

إما عن بطلة الرواية (سهر) فتتفجر منها ثورة العشق المحرم،وإقامة علاقة غير شرعية مع (فتحي) في حين كل منهما متزوج من آخر،ذائبة عشقاً في (فتحي) كقطعة الآيس كريم الساخنة يسوق الكاتب علي لسان فتحي قائلاً:

"وبينما أوقف السيارة.. في موقف الجريدة
ظهرت سهر واقفة تنتظرني.. أي جنون هذا؟
من الممكن ان يراها زوجها..ركبت بجواري السيارة
- ما بك؟
- أحتاجك
ذهبنا الي فندق..حجزنا غرفة..كانت قطعة أيس كريم ساخنة..
دخلنا الي الحمام تحت الدش كنا سويًا ...للقبلات تحت الماء طعم آخر.."(٢)

وأيضاً ثورة(سهر) الغاضبة المتوهجة بالعشق والغرام عندما علمت بأن(فتحي)سيسافر الي العراق ويترك دبي .

---

(١) رواية ، حتي يطمئن قلبي، صـ (١٣٩ :١٤٠)
(٢) رواية ، حتي يطمئن قلبي، صـ (١٧٠ :١٧١)

" قال: اخبرت سهر بكت وقالت:
- جنيت تسافر فين؟ عراق إيه ؟
- لم أرد
- وأنا هل تتركني هنا؟
- لم أحدد بعد
- قالت حدد الآن هل ستسافر وتتركني هنا ؟
- قلت لن أسافر أسكتي
- قبلتني قبلة طويلة ودموعيها تبلل شفاتينا "(١)

أما عن الراوية (شهرزاد) فأشتعلت ثورتها الغاضبة عندما أدركت حمل (سهر) بطلة الرواية، و ما يدور في خاطرها من صراع هذا الجنين من سيكون والده (منقذ أم فتحي)، فكانت ثائرة لرفضها لهذه العلاقة الغير شرعية بين (فتحي) و(سهر) فصفعته علي خده نتيجة لثورتها وغضبها يقول الكاتب:"جرت شهرزاد تلحق بفتحي خارج الغرفة وأغلقت الباب وجدت فتحي واقفاً في أرتباك أقتحمته شهرزاد..وهو متجهمن..وقفت تنظر له نظرة غاضبة..من أين تبدأ ثم قالت له بغضب:
- مش عارفة شو أقولك يافتحي؟
- في إيه؟
- البنت حامل
- نعم والله.مبروك
أمسكت ملابسه

(١) المرجع السابق ،صـ (١٨٧-١٨٦)

- الواد دا ابنك والا ابن منقذ؟
- نعم.بتقولي إيه؟
- يا كلب
صفعته علي خده ودخلت غرفة سهروأغلقت الباب أخذ فتحي يجهش بالبكاء ويضرب الحائط بيديه "(١)
وفي نهاية المطاف حول الثورة الذاتية عند الأنثى ينبغي القول أن المرأة هي حجر الأساس في الوطن،والحضن الدافئ في الأسرة،تغنى بها الشعراء؛فهي مصدر ألهامهم .
لقد حلقت الأنثى في نثريات السيد حافظ فرسمت صورة واقعية من المجتمع، و شكلت الثورة الذاتية محورالرواية وتتمثل في ثورة الأنثى سواء كانت غاضبة، عاشقة، رافضة فقد صنع السيد حافظ نوعاً من التطابق بين المرأة والواقع الإجتماعي؛فأدرك الكاتب الحس الثوري للأنثى في حضورها علي مسرح الواقع لا يمكنه الأنفلات من الواقع الأجتماعي؛فقيد جسد الأنثى بما رفضته نظم الأخلاق ومثالاً :(سارية) قصرالخليفة العاضد التي تثير شهيتها للمتعه الجسدية والجنسية مع جواري وفتيات القصر مع أختلافهم.
وتبقي دائرة ثورة الأنثى الذاتية مسيطرة علي معظم نتاج السيد حافظ والتي تنحو منحى جسدياً،سواء كانت محرمة أو رافضة،فـ (سهر)زوجة منقذ وعشقها وحبها لـ (فتحي) لا يقف عند حدود الأحساس والمشاعر بل يمتد الي الناحية الجسدية الجنسية،فقد هدم السيد حافظ الحواجز بين

---

(١) رواية ، حتي يطمئن قلبي، صـ (٢٠٧ :٢٠٨)

المرأة والرجل من الناحية الجنسية فنراه يصف لحظة لقاء العاشقة (سهر)دون خجل وثورتها الجنسية لعشيقها(فتحي)وهي كما قال الكاتب "ذائبة كقطعة الأيس كريم الساخنة"وهذه الثورة ترفضها القيم والمبادئ الأخلاقية .

إما عن الثورات الأنثوية الرافضة للمحرمات فهي تتمثل في (لمار وهوى) والجدير بالذكر أن السيد حافظ دخل حيز الأنثى وأخرج ما تخفيه من أسرار تكمنها في جعبة حياتها،فكان الكاتب دائماً يبحث عن الإثارة والانفعال لدى الأنثى في الرواية

والواقع فقد أختزلت الثورة الأنثوية عند السيد حافظ سوء الأحوال الجارفة في الوطن لسنوات عجاف ،فربما كانت لمار رمزاً لما يدور في أيام الملك (العاضد بالله)

آخر ملوك الدولة الفاطمية ونقد البنى الأجتماعية والأيديولوجية القائمة في مصر في شكل صارم.

الســـيرة الــذاتـيـة

- الاسم: سعيدة خلف أحمد سيد عثمان
- المؤهل: ليسانس آداب لغة عربية – جامعة الإسكندرية
- دبلومة تربوي في كلية التربية - جامعة الإسكندرية
- ماجستيرفي (شعر رفاعة الطهطاوي دراسة موضعية فنية)
- دكتوراه في (التناص في شعر جمال الدين بن نباته المصري)
- الوظيفة:مدرسة لغة عربية للمرحلة الإعدادية والثانوية – إدارة المنتزة التعليمية - الإسكندرية



حتى يطمئن قلبى
دراسة
بقلم د. وفاء كمالو

" ذات يوم سأخلع ملابسك يا سهر قطعة قطعة.. ألقى بها للحزن القديم والفرح القادم.. أسقيك خمر الاكتشاف، أرتوى من شفتيك كل طعم السعادة المؤجلة.. أحكى لنهديك ما جرى.. المس بشفتى فى رقبتك تعاويذ التجلى وسمو الجسد إلى الضياء.. عادى أن أنهزم.. عادى أن نقهر – عادى نخون أو نهون وأن نكون أو لا نكون.. عشقك منفى.. وأنت قدرى.. أنت عطر ينتظرنى كى يتألق على روحى وجسدى فأصير وهجا.

يا سهر. العشق لا يعرف الأصول والحدود والقانون. لا يعرف المسافات ولا الخطر ولا الحذر.. يا سهر لا تخبريهم بسر جسدى وروحى.. بسر الدم واللون الأحمر والعصير الأحمر.. لا تخبريهم ماذا أفعل حين يغلق علينا الباب. وكم أمضينا فى الفراش، وأن للفراش المحبون والجنون.. لا تخبريهم أن شيطان العشق المفتون بك والمجنون.. وأنى أريد أن أكيد الشعراء على رموش عينيك الجميلة .. فأنت قصيدة حروفها حب.. موسيقاها معنى.. ومعك لغة مكتوبة على نهر النيل وحزن دجلة وسحر جبل لبنان.. أنت كل مدن العشق المستحيلة. لست سطرا من كيانى. أو رعشة من عشقى أو تنهيدة من ليالى وحدتى.. أنت قدري فى محراب عينيك.. ساعدينى أن أكون بين الليل والنهار.. بين الشك واليقين.. ليطمئن قلبى "

خلع فتحى رضوان ملابس سهر قطعة قطعة.. سقاها خمر الاكتشاف ، أرتوى من شفتيها وحكى لنهديها.. ولم تخبرهم هى بأسرار النهارات

الوردية ولا بسر الدم الأحمر.. لكنها لم تساعده أن يكون بين الليل والنهار.. بين الشك واليقين.. ولم يطمئن قلبه.

تأتى هذه الملامح ضمن تفاصيل أحدث انجازات المؤلف الكبير السيد حافظ فى ملحمته الابداعية الكبرى، "حتى يطمئن قلبى" والتى تنتمى فنيا إلى المسرواية نجد لياليها الفريدة وضحاها المنير بين السرد الروائى والحوار المسرحى الذى نعيش من خلاله عمق بين مسرحيتين مسكونتين بالصدق والوهج وحرارة البوح والمكاشفة.. وكما يسير العظيم المتواضع السيد حافظ فإن الكتابة عنده مشروع وحلم ووجود ، نادرا ما يكون الوطن حاضرا يرى الحقيقة التى يكتبها وغالبا ما يكون الوطن غائبا عن التاريخ ، ينجرح ثم يعود له الوعى أو.. لا يعود فى هذا السياق يقول المؤلف أنه حين اجتاز عتبة ميدان طلعت حرب وهو يبحث عن هوية الشخصية المصرية فى كتابة الرواية ، وجد نفسه فى غليون المتناقضات بين عشب الحشيش والتبغ الردئ ، وقهوة عاطف فى مقهى البستان ، ورجال بنظارات يجلسون على طاولات، وأحاديث جوفاء كالفشار، والكل يدعى أنه يعرف كل شيء..، وما أن أجتازت عينيه الصفحة الاولى من الكتابة ، هاجمته ذكريات أحلامه الصغيرة المحبطة ، وما أن أجتاز عتبة القلق أنتابه قلق جديد.. فالكتابة شقاء وجحيم.

لا تزال الشخصيات الجيدة التى تعرفنا عليها فى الإجزاء السابقة تعيش وجودها المشاغب وتأخذنا إلى سبعينيات القرن العشرين ، حيث الجدل الساخن والاشتباك المنير مع وقائع حاضرنا الشرس العنيد.. ، أما البعد

التاريخى للمسرروايه ، الذى يأتى منسوجا بأسلوب علمى دقيق وتقنيات فنية نادرة ، فهو ينطلق من حكايات شهرزاد التى تروى عن لامار وهوى ، ليبعث فيهن المؤلف حياة جديدة على المسرح تكشف أسرار السقوط ومعنى التوازنات وحقيقة التاريخ.

تقع الأحداث التاريخية فى القرن الخامس الهجرى – الحادى عشر الميلادى ، حيث ثلاث قوى تتقاسم الشرق العربى ، كل منها أضعف من الأخرى الخلافة العباسية فى العراق.. ، والخلافة الفاطمية فى مصر والشام والامبراطورية البيزنطية فى الشمال الأناضولى ، وفى هذا السياق تعود شهرزاد إلى مصر الفاطمية وهى تنهار وتنقرض.. الخليفة العاضد ضعيف والوزراء يحكمون بدلا منه.. أنه زمن المؤامرات حيث يشارك الخليفة نفسه فى نسج الدسائس ضد وزرائه للتخلص منهم.. كل الأطراف تتآمر ضد بعضها ، وليس هناك خجل من الاستعانة بالصليبين.. هكذا أنطلقت شهرزاد من ليلها المخدر بالجمال فى دبى لتحكى للفاتنة سهر حكاية لامار روحها الخامسة ، بعد أن سمعت حكاية روحها الأولى نفر فى عهد أخناتون ، وروحها الثانية نور وقصة حبها مع الضابط محب فى عهد النبى موسى ، وروحها الثالثة شمس والحاكم بأمر الله ، وروحها الرابعة وجد مع حبيبها الغنى النيروزى.. وهى الأن مشدودة لدخول عالم لامار وصراعها مع الشاب ضوء المكان والوزير بهاء الدين قراقوش.

لامار هى جزء من روح سهر وطيف من أطياف مصيرها.. ووجودها يمثل تقنية فنية يفتح بها السيد حافظ أبواب التاريخ ، ليدخل المتلقى

عالم منير يسقط فيه أقنعة السلطة لتظهر دعارة السياسة وشرارة الأقتصاد، وأنتهاكات الإنسان وبشاعة وجه التاريخ بعيداً عن الزيف والاستلاب حيث الوقائع الغائبة، والديكتاتورية الحاضرة ، دوما فى قلب المشهد الإنسانى العربي.. فمن نجران اليمنية إلى القاهرة الفاطمية جاءت لامار.. أسمها يعنى بريق الذهب أو الألماس. أسم يعرفه الليل والبحر والشجر وأحلام المراهقين والرجال.. هى ابنة السابعة عشر.. كلما سارت فى الشوارع بعثت بنورها وهجا فى قلوب الرجال.. منحها الله من وجهها الفا.. شعرها غاية من العطر والحرير.. ، العطر لم يشمه من قبل العصفور لا على الزهور ولا البخور ولا الغابات ، وقالوا أنها عشيقة القمر.

- كان أبوها تاجرا بسيطا من أهل نجران فى اليمن ، طويل القامة كالعجل، لكن الجوع كافر.. ، سافر الرجل إلى الشام للتجارة وترك الأولاد والدار.. وفى هذا الزمن.. زمن الفقر والجوع كانت القبائل الجائعة تهجم على القبائل الأقل جوعاً ، تنهب المال والطعام وتسرق الأطفال لتبيعهم عبيداً.. هكذا وقعت لامار فى يد النخاس ، حملها مع العبيد إلى مصر.. ، وفى الطريق اكتشف عطر جسدها.. لكنه كان مدمنا للخمر والغلمان..، وأصبحت لامار جارية فى قصر الخليفة العاضد.. التحقت بحريم الخليفة وشعرت بالأمان.. كان كل من حولها نساء ، تعرفت على زميلتها هوى ، التى أخبرتها بكل أسرار البنات، وحكت لها عن السارية، الأنثى الجميلة القوية ذات القوام الفاتن الذى يلهب خيال الرجال ، لكنها كانت تحب النساء.

تبدو تفاصيل الحياة داخل القصر مدهشة ومثيرة، حيث يبلغ عدد الحريم فى القصر أكثر من عشرين الف جارية، كلهم جميلات ، والخليفة العاضد لا يستطيع مضاجعة النساء، اقترب الأمر للحراس.. واندفاعات الشذوذ.. وفى هذا السياق تبدو السياسة خارج القصر أكثر قبحا وتشوها على الوزير الفاطمى "شارو" الذى يتجاوز الخليفة ، ويستعين بنور الدين محمود زنكى الذى يحكم الشام ، فيرسل له جيش بقيادة أبن أخيه صلاح الدين الأيوبى..، لقد كان شاور رجلا أحمق ، حرق القاهرة كلها لأنه سمع صوتا فى الزحام يندد به، ولم يعثر عليه..، ظلت النيران مشتعلة أربعة عشر يوما..، النار تأكل البيوت والناس فى الطرقات.. من يحاول الاقتراب من النيل ليطفأ جسده..، قطعوا رقبته..، لا حدود للكره ولا حدود للقسوة. القاهرة دامعة.. محروقة والأيام حبلى بالدسائس ، والفرح على أرض مصر قليل..، والمشكلة أن الفرنج قادمون.. والنساء فى القصر لا تعرفن المصير مع الخطر والأيام والأحزان.

يتحرك المنظور الدرامى للمسررواية – حتى يطمئن قلبى – عبر مستويات عديدة مركبة.. متداخلة ومتوازنة.. حيث تشابك الماضى البعيد مع الحاضر القريب، والتاريخ الرسمى مع التاريخ الحقيقى للناس، ويأخذنا المؤلف السيد حافظ إلى تلك الشخصيات المبهرة فى داخل القصر وفى خارجه لتصبح أمام بانوراما غزيرة التفاصيل تبوح وتروى وتكشف كل أسرار الانهيارات والسقوط . وفى هذا السياق يتعرف على الشيخ عثمان الابن الشرعى لزمن الخلل والتناقضات فى الدولة الفاطمية..، فقد أعتاد أن يلعب بعقول الناس وأجساد النساء، الابتسامة لا تفارق شفتيه

يعقد القران والطلاق، ويتزوج الأرامل والمطلقات..، ويشهدن له دوما أن ذكورته كالفيل..، لم يكن له مكان ولا عنوان ، يؤجر شقة خاصة ليقابل الجان، أو نعيم حضرة أوزار. أو يفك سحر أمرأة معمول لها عمل. كانت زوجة الوزير "شاور" قد شاهدته يضاجع جارية رومية، فى الحمام الخاص بجناحها. فظلت تصرخ وساءت حالتها، وقرر زوجها أن يستعين بالشيخ عثمان.. فاستدعاه ودخل حجرتها فشفت ملابسها وتهاوى الشيخ أمام جسدها الفاتن الجميل.. خلع ملابسه، وظل شهور فى حجرتها ، بعد أن أدمنته زوجة الوزير المشغول دوما بالمؤامرات والدسائس. وعبر الحضور اللافت لجماليات الكتابة عند السيد حافظ ويتعرف على تفاصيل تجربة صلاح الدين الأيوبى فى الاسكندرية، الذى أصبح واليا عليها ، وهى من الفترات التى لا يعرفها الغالبية العظمى من الناس ويذكر أناه تأتى بأسلوب علمى موثق بالمراجع التاريخية فأخذنا هارمونية الايقاعات إلى انتقال ناعم من السرد الروائى الذى يبدأ بين لامار وصديقتها الجارية هوى.. ، إلى الدخول فى إطار المسرح لنتعرف بحيوية ثائرة متمردة على حكاية قصر ونيران العشق حتى الجنون ، تلك التجربة المسرحية اللامعة المسكونة بوهج الحضور الجدلى للسلطة وسكان القصور مع أبناء الشعب من العطارين والبنائين والنجارين والفقراء المعذبين مثل أحمد أو زعتر وقن ديل، وليالى القاهرة فى عيون الرجال والنساء، والعلاقات المتوترة.

فى تلك الفترة كان الخليفة الآمر بأحكام الله يعيش فى قصره الفخم الأنيق باحثا عن الحب والجنس والنساء. لا يفكر تماما فى عذابات شعبه، ولا

فى التوترات العارمة التى يشهدها الشرق العربى.. أنها الدعارة السياسية والاهتداء المخيف فى نهايات الدولة الفاطمية.. فى هذا السياق كانت لقاءات الخليفة الآمر مع وزيره المأمون هى تنم عن الرغبات الجامحة والعشق المنير ، أخبرته الساحرة أن الحب سيقتله وأنه سيعذب فى عيون أمرأة جميلة ، ورغم أنه يمتلك ألف جارية وألف خليلة وألف مخطية ، وتزوج حتى الآن من تسعمائة أمرأة .، إلا أنه يبحث الأن عن أمرأة لم تحدث فى التاريخ لم تحدث فى الماضى أو الحاضر.. ولن تحدث فى المستقبل.. أمرأة تنجب له طفل يرث هذا العرش.

كانت القاهرة بلا قمح فى هذه الأيام.. سقطت عكا والخليفة لم يهتم ، سقطت طرابلس وأعتصبها الفرنج بقيادة الملك برذويل.. والخليفة أيضاً لم يهتم.. الأسعار ترتفع والغلاء يبدد الناس والفقر يقتلهم.. والخليفة لا يستطيع الحياة بلا حب وهوى ومغامرات.. وهو الآن يأمر وزيره المأمون أن يتنكر ويخرج ليأتيه بأمرأة بدوية ، لا تعرف الصباغ ولا العطور ، رائحتها مثل رحيق الزهور، حسنها مطلق.. رشيقة بريئة وشاعرة وأديبة. وهناك فى صعيد مصر التقى الوزير بالشابة الجميلة.. أبنه الصحراء والهواء والحرية.. رآها مع أبن عمها الشاعر الفقير الذى لا يمتلك إلا الكلمات ، بينهما وعود وعهود وعشق منير.. والاحالات تأخذنا إلى حكايات قيس وليلى ، وعنترة وعبلة..، أسمها الغالية ، وحبيبها الشاعر هو أبن مباح .

يخبرها الوزير أنه هو خادم المصباح المسحور، وأن الخليفة الأمر بأحكام الله سيكون فارسها وتكون هى سيدة القصر الفاطمى . فترفض

وتؤكد أنها تحب شاعرها الفقر.. ورغم أن بروديل القائد أصبح على مشارف القاهرة ، يخطط لدخولها والجنود يفتكون بنساء القاهرة ويستحمون فى النيل ، إلا أن "الآمر" لا يزال غارقا فى الخمور والنساء ، لا يدرك معنى الجوع فى الداخل والفرنج فى الخارج ، ولا يزال الوزير المأمون يتابع مهمته. فيذهب إلى أهل الغالية يغمرهم بمئات الآلاف من الدنانير ، ويعد الأب أن يكون شيخا لقبيلته ، ويأمره بأحضار أبنته. لكنها ترفض بشدة.. تؤكد أن أهلها يبيعونها، وتعرض على حبيبها أن يباعا معاً.. لكنه رفض خوفاً من الخليفة الذى يمتلك كل البلاد. وظل يبكى كالنساء. عرفت أنه تنازل عنها – فرضخت ووافقت على الزواج وأصبحت سيدة القصر الفاطمى.

- كان القائد بردويل منطلقا إلى أنتصاراته، أرسل للخليفة الآمر أن يسلم القاهرة. لكن الاقدار تشاء أن يصاب بردويل بمرض خطير فى معدته ويموت ، لتبقى القاهرة فى عصمة خليفتها، ويقيم الوزير الأفراح احتفالا بالنصر الزائف وفى هذا السياق يثير المؤلف السيد حافظ، إدراك القارئ ويفتح أمامه مسارات للتفكير عبر الفواصل التى تكسر حوائط الابهام ، والتى تأتى منسوجة فى قلب الحدث الروائى والمسرحى. فتقرأ عن شيوخ مصر العظماء مثل الشيخ محمد رفعت، والشيخ عبدالباسط عبد الصمد ، وغيرهم ، كذلك نقرأ العديد من القصص القصيرة ، التى لا تزيد عن سطر واحد.. لكنها عامرة بالمعنى والأهداف والدلالات ، أما برنامج حكايات قراقوش فهو يتجاوز حدود الوعى والجمال الأخاذ عبر اشتباكاته الساخنة مع مفاهيم القهر والتسلط والاستبعاد.

وكان الخليفة الآمر قد أهدى قلبه وكيانه ووجودة للغالية ، أصبحت سيدة عالمة لكنه يلمح فى عينيها حزناً غريباً. لا تزال مسكونه بالبادية والخيام والحربة والهواء والهودج.. يخبرها أنه معذب بشرودها ، وأن الحب تفجر فى قلبه وروحه منذ شاهدها رغم الاف النساء والاجساد التى عرفها.. ، وهكذا تأخذه أفكاره إلى أن يأتى بعباقرة المهندسين ليقيم للغالبية قصرا عظيما على جزيرة الفسطاط يتمايل كالهودج على الماء يمينا ويسارا وأماما وخلفاً.. لعله يمنحها شيئا من ملامح الحاضر الجميل.. ورغم الثراء والجمال والحب الجارف إلا أن شرارة الحب الأول لا تزال ساكنة فى قلب سيدة قلب الخليفة الفاطمى. وفى هذا السياق يأخذنا المونتاج المتوازى إلى إياقعات الدهشة والرشاقة.. ، نقرأ أن شقيق الغالية معذب بموقف أسرته، وبعذابات ابن مباح ، الذى لا تتوقف دموعه..، قرر أن يسافر إليها، فأعطاه أبن عمه قصيدة عشق مثيرة ليسلمها لتلك التى لا تفارقه..، وعبر إمتداد الاحداث والتفاصيل ، يصل البدوى إلى القصر ، فيقبض عليه الوزير المأمون.. يأخذ أوراقه ويقرأ.. فتأخذه الدهشة ويعلن إنها الخيانة.. سيدة القصر الفاطمى تخون الخليفة مع ابن عمها الشاعر الفقير.. يفكر طويلا فى الموقف ويقرر أن يستعيد منه بابتزاز الغالية.. يتجرأ عليها ويتهمها بالخيانة.. ، فتصفعه ويتعقد الموقف فيساومها على الصمت مقابل أن يكون وليا للعرب ، ونائبا للآمر بأحكام الله ، كى يصبح هو الخليفة بعد موته..، وسوف يدعها تحب أبن عمها. بعد رفضها العارم.. يذهب المأمون إلى الخليفة ويقرأ له القصيدة.. ورغم انهياره وذهوله إلا أنه يخبر وزيره أنه يعشق زوجته

ولا يستطيع الحياة بدونها ففى عينيها كل اسرار الحياة.

يلتقى الزوجان ويتصافحان.. وتقسم هى ألا ترسل أبن عمها ، وأن تكون للآمر.. فيتطلب منها أن يهذا إلى قصر الهودج ليعيش معا ولا يفارقا القصر الا بعد عام.. وهكذا تمضى الأيام ويعود شقيقها يطلب مقابلة الخليفة.. فيذهب إلى قصر الهودج ويندفع بقوة إلى صدر الآمر.. ويطعنه بعنف وشراسة.. فيموت وهو يسأل الغالية عن حبها.. فتجيبه أنت زوجى.. وتهرب الغالية من القصر.. تذهب إلى ابن مباح ليتزوجا ، وتسكن الخيام وترعى الآبل.

تنتهى قصة قصر الهودج ، أجمل قصور مصر. تبكى هوى وتبكى لامار تشعر بدموعهما من الماضى البعيد، وتبكى ايضا سهر وشهر زاد لتصبح دموع نساء زمننا وثائق وجع وحياة .

تمثل مسرراوية حتى يطمئن قلبى ، للمؤلف السيد حافظ ، صاحب البصمات الإبداعية الفريدة ، التى يتوقف أمامها تاريخ الإبداع طويلا.. ، تمثل مرحلة جديدة من مراحل الجموح المدهش، وتحمل الكثير من ملامح التطور والتصاعد والاختلاف عن الأجزاء السابقة من ملحمته الكبرى ، حيث تكشف حكاية روح سهر الخامسة عن العديد من التقنيات الروائية الحداثية، التى تدفع بالسرد والحوار فى اتجاهات الأهمية تمتد من الوعى إلى اللاوعى ومن عمق الماضى إلى قلب الحاضر ، أما أسلوب نسيج البناء الدرامى المعاصر بالبناء الدرامى التاريخى فهو يرسم أبعاد مفارقات كبرى تشرح وتفسر وتبحث عن تغيير وجهة النظر الأحادية التى تحكم الواقع العربى، ورغم أن القراءة السريعة قد تقود

المتلقى إلى أن التاريخ يكرر نفسه، إلا أن القراءة الأعمق تكشف عن منظور جدلى شديد الإبهار، يؤكد أن تشابه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تؤدى إلى نفس النتائج، وتعيد وقائع القهر والاستلاب والغياب.

لا يزال فتحى رضوان خليل يعيش أحداث الحب والعشق والخيانة مع سهر زوجة منقذ..، الصمت بينهما هو سيد اللحظة، والقبلات تحت الماء لها طعم آخر ، قسم قلبه بينه وبينها، وبين الكتابة وكحل عينيها وضفائر شعرها وهمس شفتيها.. حدث أن عشقها وفقد عقله ، وذنوبه فى العشق لحن ناى حزين. وفى هذا السياق يأخذنا المؤلف إلى تفاصيل الواقع السياسى والثقافى والاقتصادى فى مصر والكويت ودبى والعراق وتفتح الرؤى والأحداث مسارات مدهشة لنقد وقائع الصعود والسقوط ، وعبر إياقعات المونتاج المتوازى والمتوالى تتحول الكتابة إلى وهج سحرى مدهش يجمع بين فتحى وحبيبته سهر ، وزوجته تهانى ، التى تعلم أن قلبه معها ، رغم ذلك تضمه إلى صدرها كل ليلة ويساوره التخيل إنها هى.. وتظل تهانى خجلى من قلبها ومن نفسها. تتساءل كيف يتسع القلب لامرأتين ، أما فتحى فهو يحاول الهروب من صورة سهر التى تلاحقه ، لكنه يفشل دائما ، ويرسل لها كل مساء بعض الكلمات ، فتتحول إلى قبلات على خديها وشفتيها.

ورغم أن سهر سورية درزية ومتزوجة ، وهو مصرى سنى ومتزوج ايضا، ولا شيء منطقى يربط بينهما.. إلا أن الحب قد جمع بينها عبر قصة تقوى حدود الخيال والتصورات.. ، فهل كان الحب لعنة أم قدر ؟؟

حين تزوجت سهر من منقذ، تركت الشام لتعيش معه فى دبى وهناك تحولت حياتها إلى مفارقة وجودية عقبة مخيفة ، لكنها استطاعت أن تتجاوز تساؤلات الحيرة والعذاب، واختارت الحب وجنون اللحظات..، لم يكن زوجها منقذ هو الرجل الذى عرفت معه سحر الحياة.. ظلت عذراء لشهور طويلة، وظل هو يحاول امتلاك رجولته وحين التقت بفتحى رضوان، زميل منقذ فى الجريدة ، كتبت الأقدار ميلاداً أسطورياً لقصة حب منيرة.. منحها روحه ووجوده ومنحته قلبها وحسنها وعرفت معه معنى الحب والجنس والحياة، فكان هو رجلها الحقيقى المهاجر دوماً بين الوجه والشوق. وفى هذا السياق كانت شهرزاد شاهدة على أدق الخبايا والأسرار ، تعلم حقيقة حب سهر.. ، تتذكر الماضى عندما كانت تمر على باب بيتها الخالى من الأحزان ، يحدثها الباب والجدران عن طفولتها البريئة، تسمع ضحكاتها الجميلة ، وكبرت وأصبحت منهرة وتحولت إلى ثمرة منيرة ، جمالها تصرخ فى وجه الرجال ، فقد فتن لها شيطان العشق ودفعها إلى تيارات الجموح . وحين علمت أنها حامل قررت الصمت ، فسهر نفسها لا تعرف من هو الأب الحقيقى لطفلها القادم.. هل هو زوجها منقذ أم حبيبها فتحى؟؟

صفعته شهرزاد على وجهه وسألته هل الجنين أبنك ؟ فعجز فتحى عن الإجابة..، الأسئلة موجعة للعقل والقلب والروح ، ظل يسأل نفسه لماذا لا نخاف العشق.. ونخاف أن تحمل النساء منا..، هل أطفال العشق شياطين أم ملائكة ؟؟ وهل أنا خائف ؟ من تهانى زوجتى ؟ من شهرزاد ؟ من سهر؟ من الله.. الله ؟؟ وتظل مشاعر الدنس والخطيئة تعذب فتحى

وتقتل ملامح الفرح فى حياته.. لم يسعد حين علم أن تهانى زوجته ستنجب الولد ، وكانت المفارقة هى أن سهر ايضا ستنجب الولد.

تأخذنا تفاصيل السرد الروائى إلى لحظة مخيفة تحمل الكثير من الدلالات والمؤشرات والإجابات ، حيث كانت سهر تحدث شهرزاد عن عذابها المخيف فهى لا تعرف هو أبن من.. يقتلها الشك وتريد هى أن تقتل نفسها وفى تلك اللحظة يدخل زوجها منقذ ويسمع هذا الحوار الآثم.. يكاد يصرخ من فرط ذهوله وأخيرا يواجه زوجته ويقول لها الولد اللى فى بطنك أنا أريده.. أريد أن أكون أبا له.. حتى لو لم أكن أباه.

فتبكى سهر وتطلب الطلاق، لكنه يرفض ويبكى ويضمها فى حضنه ويبكى الاثنان.

ولا يزال فتحى رضوان يعيش عذابات الجحيم ، تحاصره التساؤلات ويبحث عن إجابات.. حتى يطمئن قلبه.

- تمضى الأيام. وتمتد التقاطعات والاشتباكات.. نسافر إلى الماضى ونعود إلى قلب الحاضر وتحكى شهر زاد عن لامار والفتى ضوء المكان والوزير قراقوش.. تلك الحكاية التى تأخذنا إلى فترة تاريخية مثيرة للجدل، حيث سقوط الدولة الفاطمية وصعود الدولة الأيوبية والتاريخ الحقيقى لصلاح الدين الأيوبى الذى لم يكن يدرى أثناء حصاره فى الاسكندرية ، أن عرش مصر سيصير اليه بعد سنتين بلا عناء.. فالمؤامرات تغير وجه التاريخ ، وتصنع أمجادا وصعودا وانهيارات وفى هذا السياق كانت لامار تعيش فى قصر الجوارى الملحق بقصد الخليفة الفاطمى العاضد ، وكان أبوها يبحث عنها فى كل مكان حتى وصل إلى

مصر ، والتقى بالناس واشتعل فى دكان شيحا الحداد.. وهناك يلتقى بالفتى مصابح.. أو ضوء المكان ، أبن شيحا ودنيا زاد ، الشاب الذى لم يحب أى مهنة، روحه غاضبة متمردة بلا هدف.. يعرف كل بيوت القاهرة..، الاغنياء والأثرياء والتجار..، بيوت الدعارة السرية ، يحفظ أسماء كل نساء مصر ، لم يتزوج لأنه يحلم بأنثى جميلة لم يسبقها فى سحرها أحد ، كان صديقا للشيخ عثمان الذى ، أصبح الان نائب شيخ الأزهر.. وكان عثمان يتنفس كذبا مثل الأمير شاور..، مثل الخليفة العاضد، وباختصار مثل الجميع.

فى اشتباك مدهش ما بين جماليات حكى شهرزاد ، وجموح التجربة المسرحية التى تبعث موجات الوعى والحرية والتساؤلات . ، يدرك المتلقى أن السيد حافظ هو كيان إبداعى شديد الإبهار تدفعنا كتاباته إلى العديد من القراءات والتفسيرات ، حيث تكتمل الرؤى الفكرية والفنية عبر المزج الواعى بين التاريخ الرسمى المكتوب ، والتاريخ الحقيقى الذى لا يعرفه الكثير من الناس ليصبح المنظور الدرامى جامعا بين الحداثة والتراث، تيارات الوعى والكوميديا السوداء ، التراجيديا والجروتسك ، والعبث والوجود والعدم.. ، تلك الاتجاهات التى تجاوزها هذا الإبداع العظيم الذى يظل محتفظا بخصوصيته وبصماته الفريدة هكذا نقرأ أن صلاح الدين الأيوبى الكردنى يقطع راس الوزير الفاطمى شاور ويخلص مصر من شرورة ، فقد فكر الخليفة العاضد فى أن يلقى بصلاح الدين فى فتنة أخلاقية ، حيث اقترح عليه الوزير شاور قبل موته أن يعينه مسئولا عن أمن الجوارى فى القصر بعد أن بلغ عددهن ألف جارية

من أجمل بنات العالم.. لكن الأيوبى يخرج من هذه المصيدة ، ويختار بهاء الدين قراقوش ، الذى أصبح يتجول فى قصر الحريم ببساطة.. ، فهو خصى ، جميل الوجه ، ومهندس بارع ، وغبى بقوة فى شئون الحياة لذلك كان صعوده مبهرا وسريع.. ، وعينه القائد القادم كبيرا لشئون القصر العام والخاص ، وأصبح رجل صلاح الدين الأول ، وذراعه المعجزة . ويذكر أنه لأول مرة فى التاريخ يقوم الأيوبى بتعيين نساء بصاصات ، يفتن عما يدور فى مخادع النساء فى القصر ، فكان يعرف ببساطة هل نامت أمرأة مع زوجها أم لا . وعبر المشاهد المسرحية المتوترة ، التى تجمع ما بين أحداث قصور الخليفة والأمراء والجوار ، وبين عذابات الناس من الشعب فى البيوت والشوارع نعلم أن صلاح الدين الأيوبى قد بدأ الإعداد لخطة الانقلاب على الدولة الفاطمية ، وكان يؤكد دوما أن الزعماء والقادة هم الذين يكتبون التاريخ..، يشترون المؤرخين بالأموال ليكتبوا كل ما يريده الكبار.

تقودنا دراما المسرحية، والوثائق التاريخية الدقيقة إلى لحظة سقوط الخليفة العاضد، أخر الخلفاء الفاطميين، ثم تعيين صلاح الدين الأيوبى وزيرا على مصر بعد وفاة أسد الدين شيركوة.. كان عمره آنذاك أثنان وثلاثون عام. وبذلك انتقل مركز قوى العالم الاسلامى إلى مصر.. ، وفى هذا الإطار يرسل نور الدين محمود زنكى إلى وزيره صلاح الدين، ليأمره بتحويل البلاد إلى المذهب السنى، والدعاء للخليفة العباسى بدلا من الخليفة الفاطمى، لكن صلاح الدين يستمهله حتى يتوفى الخليفة العاضد المحتضر. فهو الآن يفهم جيدا أن الأيوبى قد أنقلب عليه ، منذ إندفاعه

إلى محو كل مظاهر المذهب الشيعى وحرق المساجد والناس تصلى فيها وتشريد ومحاصرة سكان القصور الفاطمية والتأكيد على محاربة الإرهاب الشيعى، وإذا الوزير الفاطمى شاور قد أحرق مصر مرتين، فإن صلاح الدين قد أحرقها بفظاعة تفوق الخيال وهو يجلس فى شرفة القصر، يرى النار من بعيد فى ليل القاهرة الحزين، ويسمع شيوخ الأزهر وهم يطوفون قائلين جاء الحق وزهق الباطل أما حرق قصر الهودج وأجمل قصور الفاطميين التى تمثل تراثاً فنياً رفيع المستوى، وكذلك بيع نسائهم كعبيد.. كل ذلك تؤد أن السلطة والسياسة لها توازنات أخرى بعيدا عن الفن والحضارة والجمال.

كانت لامار فى قصر الجوارى تشم رائحة أبيها، وكانت تعلم جيدا أن الخلافة سقطت.. فقررت هى وصديقتها هوى الذهاب إلى المطبخ فالنوم مع الخدم أفضل من النوم فى الشوارع أو فى بيوت الدعارة وفى هذا السياق تلتقى لامار ذات مساء بضوء المكان، فيبهره جمالها ويغتصبها بوحشية، ثم يجلس ليبكى ويطلب منها الزواج، يأخذها إلى بيت نائب القاضى الشيخ عثمان ويعلم منها أنها أبنة أبى بكر القادم من نجران اليمن ، وتطلب العودة إلى القصر ، فتذهبوا بها بشرط ألا تخبر الوزير قراقوش، وهكذا تمتد الأحداث والمقاطعات ونعلم أن الناصر صلاح الدين قد هدم الكثير من أهرامات الجيزة ليبنى القلعة والسجون، ثم أغلق الأزهر وحوله إلى مخزن بضائع ، وأخبر عمه أسد الدين شيركوه أنه لن يشاركه الحرب على الصليبيين كى يتفرغ للفتن الداخلية التى يقوم بها الفاطميين، أما بهاء الدين قراقوش فقد جلس على كرسى العرش

فى مصر نائباً عن الأيوبى ، الذى انتقل إلى دمشق ليحكم الشام. وهكذا أنقسمت الحارات بين السنة والشيعة الكل يقتل الكل.. والرعب ينتشر فى البلاد ، والمسيحيون واليهود خائفين من انتقال عدوى الفتن.

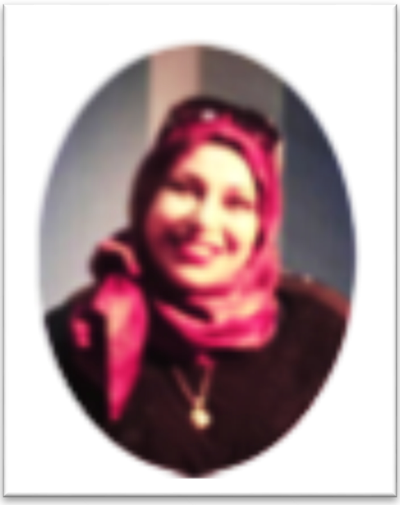
أصبح الشيخ عثمان قاضيا عند صلاح الدين أيضاً، بينما حملت لامار من الفتى ضوء المكان وكادت تموت وهى تتخلص من جنينها، وكان فتاها مؤرقا بفعلته الخسيسة يبحث عنها فى كل مكان ليتزوجها. وفى هذا السياق ذهبت لامار وصديقتها هدى إلى بيت القاضى عثمان ليبحث لهما عن حل للهرب من هذا الجحيم. وكان أبو بكر موجودا فى بيت عثمان ، تلك الحالة التى بعث بها المؤلف أكد أجمل مشاهد المسرحية، عبر تيارات المشاعر ودهشة الإثارة واللقاء الجميل بين الأب وأبنته..، أما القاضى فقد طلب الزواج من لامار ووافق الأب ، ليحدث إنقلابا عارماً فى حياة عثمان الذى أكتفى تماما بالجميلة لامار وظل فى الدار ثلاثة أشهر متصلة، وقرر التوبة وانتهت علاقته الآثمة بالنساء.. وهكذا تمضى السنوات وتلتقى لامار بضوء المكان تحكى له حكايات زواجها وحكايات الجوارى، ونعلم أن قراقوش الذى منع الزواج سوف يحاكم عثمان لأنه تزوج الجارية الجميلة رغما عنه..، ويحكم الوزير بطلاق لامار التى تشاغب خياله ليل نهار..، فيبكى الزوج طويلاً وتعود هى إلى مطبخ القصر، ويبلغ القاضى فى أن يلتحق بالمطبخ معها. وعبر إيقاعات الجروتسك واندفاعات الحب والقهر والعذاب، وجماليات شخصية ضوء المكان..، يظل التوتر هو الأكثر حضورا فى قلب المشهد المسرحى والروائى.. ويظل فتحى رضوان مؤرقا بعذاباته وباحثا عن الحقيقة..

حتى يطمئن قلبه.

تنتهى التجربة الثرية الضخمة، ويبقى وهج المؤلف السيد حافظ ليبعث تساؤلاته المقلقة فى قلب المشهد الثقافى المصرى الذى سيتوقف طويلاً أمام إبداع يؤرخ للجمال والوعى والحرية.

د. وفاء كمالو

القاهرة يناير ٢٠١٧



التَّعالقُ بين الوطن ،الكتابةُ ،العشقُ

بقلم د. كاميليا عبد الفتاح

الأستاذ المساعد في تخصص الأدب الحديث والنقد

جامعة الباحة سابقًا

حول اغتراب البطل الإشكالى ومرتكزات خلاصه في رواية " حتى يطمئن قلبى " للكاتب الروائى السيد حافظ .

السَّردُ الذاتيُّ نمطٌ من أنماط السرد الروائي – أو مقولات الحكي كما يُسمّيها الناقد الفرنسي جان بويون – ويتمّ فيه تقديم الأحداث والشخصيات من خلال وجهة نظر الراوي ، ومن خلال تأويله الأحداث، ودفعها إلى جهةٍ دلالية بعينها ، ويتمُّ كذلك من خلال انتخابِ هذه الأحداثِ – وتكثيفها وإخضاعها للعبة الخفاء والتجلّي– بما يُجعل هذه الأحداث متضافرةً في سبيل غاية واحدةٍ هي إبراز الرؤية – أو الأيديولوجية – التي أراد الكاتب تجسيدها . وفي السرد الذاتي - Subjwctif– كما يقولُ توماتشوفسكي – " نتتبّعُ الحكيَ من خلال عيني الراوي - أو طرف مستمعٍ – متوفرين على تفسيرٍ لكلِّ خبرٍ ، متى وكيفَ عرفه الراوي ، أو المستمع نفسه " هذا النمطُ من السرد يشيعُ في الروايات الرومانسية ، والرواية ذات البطل الإشكاليّ التي نتوقف بالقراءة النقدية أمام أحدِ نماذجها ، وأعني رواية " حتّى يطمئن قلبي " للكاتب الروائيّ السيد حافظ ، وهي جزءٌ من أجزاء مشروعه الروائي الكبير، وحلقةٌ من حلقات الأحداث في هذا المشروع .

– الشخصيةُ الرئيسيةُ في هذه الرواية – شخصية فتحي رضوان - وهو

- في افتراضي النقدي – نموذجٌ مثاليٌّ لتمثيل البطلُ الإشكاليّ – أو كما يُسمّى في بعض المؤلفات النقدية بالبطل المُعضل - وهو البطلُ الذي برز في الرواية ما بين مرحلة الواقعية ومرحلة الرواية الجديدة – و يتميّزُ بسماتٍ فكرية وروحية خاصة ؛ فهو أقربُ إلى المثالية – ولنقل إنه دُون كيشوتيٍّ التكوين – وهو يعاني من الصراع والتمزّق بين مُسلَّماته المثالية – قيمِه ورؤاه – وبين الارتكازات المعرفية والقيمية التي يتبنّاها الواقعُ ، وينبثقُ تأزّمُ هذا البطل من انتصار حقائقه الداخلية ورؤاه على أطروحات المجتمع . وقد اعتبر " لوسيان غولدمان " – في كتابه " مقدّماتٌ في سوسيولوجية الرواية " – البطل المعضل الإشكاليَّ شيطانًا أو مجنونًا - ترجمة بدر الدين عرودكي بسورية – دار الحوار، ١٩٩٣م - أمَّا الناقدُ محمد عزّام ، فقد اعتبرهبطلًا نظريّـًا لا عمليّـًا ، ووصفه بأنه يعيش حائرا ما بين الانتماء والاغتراب ؛ فانتماؤه إلى قيم الخير والإنسانية يتواكبُ مع اغترابه عن أفكار مجتمعه- ومنظومة مجتمعه عامة - وينتجُ تأزُّمُه من رؤيته نفسه باعتبارهِ "بطلًا في غير زمانه" ورؤية مجتمعه له على أنه "مشكلة" – محمد عزام . البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة، دمشق– الأهالي للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م - وهذا البطل تبدأُ معارضته – اختلافه – مع الوطن ، وتنتهي لتشمل مطلق الوجود .

– ينبثقُ تأزّم فتحي رضوان – بطل هذه الرواية – وتتخلّقُ وضعيته الإشكاليةُ من منطلق علاقته المضطربة بالوطن ؛ فالوطنُ مثارُ عشقه

الصادق ، و مثارُ اغترابه الفكري والنفسي والمكاني . وللوطن مرتكزٌ عاطفيٌّ – فطري طبيعي – في روح فتحي رضوان ؛ فهو الانتماءُ والهويةُ والذكرياتُ والعمرُ والأحبة ، لكنّ هذا الوطن مُستلَبٌ طوال سبعة آلافِ سنةٍ – هي عمرُ حضارته – مُستلبٌ عبر عدة كياناتٍ مُنهكة ، على رأسها : الحاكم الديكتاتور ، الخونة ، المرتزقة ، المنافقون ، اللصوص ، الجهل والتخلف الفكري الناتجان من هيمنة الحاكم على منظومة العلم والفكر والثقافة ، وإخضاع هذه المنظومة واتخاذها وسيلة لبقائه واستمراره ؛ ممّا أدَّى إلى إقصاء الرموز الحقيقية النفيسة من أهل العلم والثقافة ، في مقابل تمكين الأضعف منهم ، وإطلاق حرياتهم في السيطرة على عقول العامة .هذا فضلًا عن تزوير التاريخ وإبراز الهزائم في صورة الانتصاراتِ ، وإبراز الحكام الطّغاة في صورة القدوة الوطنيةِ الزاهيةِ .

- إنَّ الوعي – غالبًا – يكونُ منبثقَ الاغترابِ ، وهكذا انبثقَ اغترابُ فتحي رضوان من وعيه بهذه الأبعاد المأساوية من مؤامرة اغتيال الوطن . وقد اتخذ اغترابُهُ مسارًا عميقًا ؛ فلم يقف عند دلالته المكانية ، أو النفسية ، بل وصل إلى مصاف الاغتراب الفكري والروحي ، والتّشظي بين الرفض المطلق لفكرة الانتماء لهذا الوطن المُستلَب ، والعشق المطلق لهذا الوطن ، والشغف به ، والتوق للانتماءِ إليه .

ويلاحظُ المُتلقي – ناقدًا وقارئًا – وضوحَ التّماهي بين الكاتب – السيد حافظ – وبطله الإشكالي – فتحي رضوان – في هذا التأزّم في العلاقة مع الوطن ، وذلك من خلال التّماس الدلالي بين عتبات الرواية ومتنِها

الحكائيّ ، إلى الحدِّ الذي يبرزُ فيه الكاتبُ وبطلُه بوصفهما ذاتًا إنسانيةً واحدةً ، وصوتًا إنسانيًا واحدًا ذا رؤىً موحّدة وإشكاليةً واحدة . بما يدفعنا إلى افتراض نقديٍ مفادُه أنّ البطل الإشكالي فتحي رضوان ما هو إلّا معادلٌ رمزيٌّ للالسيد حافظ ذاته . من النصوص التي تُشجعنا على المُضي في هذه الفرضية - لتماسّها الدلالي - هذا النص الذي يطرحُ فيه السيد حافظ تصوّره للوطن . يقول في مقدمة الرواية : " ما إن اجتزت عتبة باب التاريخ اكتشفت أن مصر لونها رمادى .والبشر مشاعرهم أغلبها اصطناعى.. وعيونهم حزينة ورهيبة ومرتابة بشكل كبير.. ما إن اجتزت عتبة المعرفة واجهت قنابل الجهلاء والأغبياء وزعماء فكر بلا روح أو ذاكرة أو إدراك

يتماسّ هذا النص –رؤيويًّا ودلاليًّا – مع كثيرٍ من الجمل والعبارات التي يسوقُها الكاتبُ على لسان فتحي رضوان ؛ ويصفُ فيها مصر وطنًا للوجع والألم - والاغتراب والجهل والغيبوبة واللصوص - وهي في الوقتِ ذاته ليست وطنًا لأبنائها الواعيين بنفاستها ، الصادقين في محبّتها . من ذلك قول فتحي رضوان : ".. نفد صبر القلب على وطن بلا مشاعر أعتذر نفد الوقت وقطار العمر فى الغفلة مضى ." ص ١٢٩ وقولُه : " أنا غريب فى دبى و غريب فى بلادى مثل طير السمان..أحب مصر والعرب رغم أنهما جثة عفنة لاتقدر على الطيران والحلم.. هذا وطن البهلونات والمرتزقة وقاطعى الطريق والقراصنة وطن ملوث بالحرب والسلام يعرف أن الله شريط للقران فى تسجيل.. وطن بدوى متخلف قاطع طريق الحجاج.." ص ٣٤

وكذلك قولُه ص ٣٨ : " وأظل أحلم بالحرية حتى تدق ابواب الوطن..أيا لهفة الروح أن تعودي لنا يابلادي النبية..وأمضى نحو الحقيقة ويتبعنى ظلى وضحكات الاغبياء تلاحقنى وهم الغالبية العظمى من بنى وطنى.."
ويقول :
" أنا لست مع أحد منهم.. أنا معهم كلهم.. أنا ابن هذا الشعب الجاهل المتعصب.. دمهم فى دمى.. وأراهم يجرون فى دمى يحملون أعلام الاهلى والزمالك وأعلام الاخوان وأعلام الكنيسة وأعلام السعودية وأعلام عبد الناصر وأعلام الملك فاروق... أنا من نبض هذا الشعب الجاهل القاتل شيعيا أوسنة وبهائيا وملحدين هذا شعبى " ص ١٦٢

– و يبرزُ الرمز والقناع التاريخي على رأس الحيل الفنية التي صوّر بها الروائي - السيد حافظ - هذا الجانبَ الإشكالي من شخصية فتحي رضوان ؛ فقد استدعى في هذه الرواية كثيرًا من رموز الفكر والإبداعِ – عبر مراحل التاريخ الإنساني – وأبرزها من خلال هذا الاستدعاءِ بوصفها ذواتًا إنسانيةً مُتماسَّة مع شخصية فتحي رضوان – في جانبٍ ما من جوانب التكوين الروحي أو التأزّم الفكري – من هؤلاء : بودلير ، جيمس جويس ، عبد الرحمن الكواكبي ، بريخت ، المتنبّي ، نزار قبّاني ، محمود درويش ، أخناتون ، أراجون ، لوركا ، المتنبي ، السهروردي ، جلال الدين الرومي ، الخيَّام ، وآخرون . هذا فضلًا عن بعض الشخصيات التي استدعاها على مدار المتن الحكائي ، وطرحها في لُحمة الأحداث . ونلاحظُ تنوعُ هذه الرموز الإنسانية ، ما بين الشاعر، والحاكم ، والمؤرخ ، والكاتب ، والمتصوف ، فضلا

عن تنوّعها في الهوية والمرحلة التاريخية ؛ بما يدفعنا إلى افتراضِ رغبة الروائي في إبراز شخصية البطل فتحي رضوان في صورة ذاتٍ كونية ، لا متناهية ، سواء في أبعادها الفكرية والروحية ، أو في مصاف اغترابها ، وتأزّمها الإشكالي .

- لقد تمّ استدعاءُ الكاتب لهذه الرموز الإنسانية المتنوعة من خلال طرح نصوصها – في الفواصل الواقعة بين فصول الرواية – بما يعني ارتكاز الكاتب على أسلوب " التناص " كأسلوبٍ فنيٍّ يُسهمُ في إبراز المزيد من جوانب الرؤية الفكرية في العمل الأدبي . وقد استطاع الكاتبُ – من خلال التناص – أن يُلقي الضوء على جوانب التأزّم الروحي والفكري لبطله الإشكالي ؛ حيثُ اشتملت هذه النصوص على معاني الاغتراب والوحشة والبحث عن الهوية والسلام . وقد طُرحتْ هذه النصوص وكأنَّها مونولوجٌ صادرٌ من ذات الكاتب - أو صادر من معادله الفنّي فتحي رضوان . ومنها : الابتهال الذي رفعهُ الكاتبُ إلى روح أخناتون ، بوصفه صلاةً على هذه الروح التي تمثل – في رؤيته – الحق والنور –يقولُ في " ركعتان على روح أخناتون " :

" الركعة الأولى

حين أتذكرك أتوضأ وأصلى ركعتين على روحك الشفيفة فى الركعة الأولى أسأل نفسى كيف تسلل النور إلى قبك وروحك ورأيت الواحد الأحد .ترى من جزع لغيابك ؟ ومن خانك ؟ وأنت خبز أرواحنا الجوعى وأنت نور بلادى الجاهلة المظلمة.. لاتحزن ياسيدى .فروحك تسكن الأرض والسماء أما نحن البشر فى مصر فلا عزاء. " وفي هذه الركعة الأولى

يطرحُ الكاتب أسئلة إدانة لهذا الوطن ؛ فهو يصف أخناتون باعتباره ظاهرة نادرة وروحًا متميزة – تقابل السائد المظلم – ويطرحه مغتربًا تمّت خيانته ، ونورًا رحل من الوطن المظلم .

ويؤكدُ هذه الدلالة في " الركعة الثانية " ، كما يطرحُ بعدًا دلاليًّا للقرب والبعد – من الوطن – أو المقام فيه والرحيل عنه – فيجعلُ العشق الصادق للوطن قربانَ الخلود فيه ، ويجعل الخيانة وغياب الوعي قربان الرحيل عنه ، والحرمان منه . ومن هنا يكونُ أخناتون روحًا باقيةً في مصر . يقول في هذه المناجاة :

" أنت سرٌّ مصر والسر هو الروح فأنت لم ترحل من هنا من مصر بل نحن رحلنا من النور إلى الظلام ؟ وسرقتنا الخطيئة إلى ألف ألف علامة استفهام " ص ١٦٦

كذلك يستدعي روح أبا ذرٍّ الغفاريّ في مناجاةٍ ، هي أقربُ للمرثية ، ويضعه مع الثائر " جيفارا " في أُفق إنسانيٍ واحدٍ ، أفق يواجه الظلمَ والزيفَ والجهلَ . يقول : " يا سيدي أنت المنفيُّ الأول في تاريخنا الملوث بالدماء و الظلم و الاضطهاد ،ياسيدي أصبح النفي عنوانا لكل من تسول له نفسه أن يقول الحق أو الحقيقة . أولم تدري أننا صرنا أكثر من مليار و لكننا كالغثاء الأحوى ، لا نفكر إلا في النساء و المال و التجارة و الدعارة و لبس الجبة و الصلاة في رمضان ؟ يا أول الغرباء ، وأول من فهم أن الإسلام دين الفقراء قبل الأثرياء و دين المساواة و ليس المحاباة بعد قرن و ما يزيد ظهر ثائر جديد مثلك اسمه جيفارا رفض المنصب و رفض الجاه و كره الأغنياء . سامحنا فنحن الجهلاء

و كان أكثرنا لا يعقلون و لا يفقهون و لا يفهمون ." ص ١٩
وإذا كان الكاتب يستدعي روح أخناتون وأبا ذرٍّ الغفاري ويطرحهما ذواتًا مغتربةً صادقة، فهو يستدعي جلال الدين الرومي باعتباره رمزًا للعشق المطلق الذي يتماس مع هذا الجانب الروحي من شخصية فتحي رضوان . يقول في الركعة الأولى المُهداة إلى روح جلال الدين :
" وكيف لحرفي في العشق أن يتجلى إذا لم يمر بباب حرفك المتخفى وينتشى بشهيق المتنبى وزفير عطر الخيام..كيف تنام اللام على صدر البنات الفاتنات وتنام الهاء على كف هواء البحر في صيف الإسكندرية إذا لم تشم أنفاسك..اللهم إنك كنت نبى عشق وهرب من الجنة ليخبرنا عن سر العشق إذا ماهل علينا دون استئذان..حين أمر بذاكرتى على اسمك يرجع إلى قلبي فكره الشقى ونبضه الأبيض وأشعر بروحى المتمردة تفكره وتذكره فيما مضى بين جنون وسكون المعرفة وتخلعنى الهواجس من الزحام إلى الاعتكاف " ص ٢٣٢
ولا يقف رمز جلال الدين الرومي عند مصاف هذه الدلالة – في طرح السيد حافظ – بل يطرحه رمزًا للسلام والسكينة والانعتاق الروحي ، حين يبرزهُ في وضعية ضدية مع مفردة " الجنرال " - برمزيتها الدالة على السطوة العسكرية المادية - يقول في الركعة الثانية :
" ضمَّنى وهزنى وعلمنى وأدبنى وأنا الخطى والمنسى والمبتدأ المتأخر والضمير الغائب تقديره الشفيف والذى قال لا حين قال الجنرال في الميدان انتصرنا ونحن لم ننتصر فبأيّ ألاء ربى اعترف." ص ٢٣٢
ويدفع الكاتبُ بطله الإشكالي – فتحي رضوان - لقراءة رواية " هرمان

هسه " ، ويسوق على لسانه مونولوجًا يبرزُ فيه تماسه الفكري والروحي مع رو ح " هسه " ، وروح جلال الدين الرومي ؛ فرارًا من ضعف الواقع الفني ، وبحثًا عن الكلمة الصادقة النابعة من ذواتٍ تأزّمت من مجتمعاتها ، ومن واقعها الوجودي بأسره . يقول :

".. ترى ما الذي يربطني بهيرمان هسه.. كأنه يكتبني أو أنا أكتبه كأننا روح واحدة انشطرت أو كأنه منحنى قبسة من روحه أو منحته جزءا من روحي...كنت فيما مضى اعشق شكسبير والمتنبي ولكن روح هسه تسكنني أو أسكنه. لابد من التحرر من روحه الصوفية.. قرأت لجلال الدين ابن الرومي أغتسل من الهزال الذي يطبع باسم الشعر والشعراء"

إنّ نظرة تأملية في هذه النصوص المُستدعاة تؤكدُ أنَّها ليست عرضًا ثقافيًّا - أو وقفة استجمامٍ من أحداث الرواية - بل هي نصوصٌ متعالقةٌ مع المتن الحكائي للرواية من خلال أسلوب لإبرازِ مثارات تأزّم البطل الإشكالي – ومظاهر هذا التأزّم – من ذلك هذه القصيدة للشاعر الفرنسيّ بودلير ، وقد استدعى منها الكاتبُ هذه الأسطر المفعمة بالاغتراب والوحشة ؛ فبدتْ وكأنّها جزءٌ من المتن الحكائي ؛ لاتصالها العضوي بإشكالية اغتراب فتحي رضوان . يقول بودلير :

- مَن تحب أكثر، أيها الإنسان اللغز، قل؟ أباك، أمك، أختك، أم أخاك؟
- ليس لي أب، ولا أم، ولا أخت، ولا أخ.
- أصدقاءك؟
- أنت تستعمل كلامًا لا يزال معناه حتى اليوم خافيًا عنّي.
- وطنك؟

- أجهل في أيِّ خطِّ عرض يقع. " ص ٩٠

تبدو هذه الوشيجة العضوية بين المتن الحكائي للرواية ، وبين النصوص العالمية المُستدعاة في نموذجٍ شعريٍ آخر ، يطرحُ فيه " بريخت " تمزّق الذات ، ووقوفها بين منطقة الانفصال والاتصال بالوطن . وهذا التمزّقُ يصوّرُ به السيد حافظ مظهرا عميقًا من مظاهر اغترابه - و اغتراب بطله الإشكالي - يقول :

" أعطوني مسدساً
وقالوا اقتل عدونا
وحين أطلقت على عدوهم
كان المقصود أخي
هناك يقف أخي
الجوع يوحدّنا
وأنا أسير ، أسير
مع عدوه وعدوي
هكذا يحتضر الأن أخي
وأنا من يذبحه
لكنني أعرف أنه لو هزم
فسوف أضيع أنا "

و تبرزُ الكتابةُ والعشقُ – في رؤية السيد حافظ - بوصفهما قوى الخلاصِ التي يتصدّى بها البطل الإشكالي لعوامل استلابه ؛ ومن خلال الكتابة والعشق يبحثُ البطلُ المغتربُ عن الانعتاق والسلام والسكينة ،

ودرجة من درجات التوافق مع الذات، والوطن، والواقع، ومطلق الوجود وتعدُّ الكتابةُ هي المصدرُ الأول للخلاص ومساراته – في هذه الرؤية - إلى حدّ أننا نرى – في كثيرٍ من مواضع الرواية – مزجًا بين الحبيبة سهر – كذاتٍ أنثوية – وبين الكتابة ؛ بما يجعل " سهر " أميرة النساء في عين فتحي رضوان . نطالعُ هذه الدلالة في هذا الموضع من البوح على لسان فتحي رضوان ، قائلًا لسهر : " أنت لست أفضل امرأة قابلتها.. لكنك امرأة تشبهين تواطؤ العشق وكارثة الكتابة التى تطيح بظلام قلبى حين يطفىء الوطنُ نور قلبى.." ص ١٦٠

ونلاحظُ – في الموضعِ السابق – أنَّ الكاتب يطرح الأطراف الثلاثة التي تمثّلُ إشكالية وجودهِ ، وهي : الوطن ، الكتابةُ ، العشقُ .

ويسوقُ على لسان " تهاني " – زوج فتحي رضوان – جملة تُحرّضُه فيها على السفر ، وتغريه ببديلٍ آخر للوطن ؛ لأنّ هذا البديل يحتفي بإبداعه ، وكأنّ السيد حافظ يضعُ مفهومًا جديدًا للوطن ، هو المكانُ الذي يُقدِّرُ الكتابة . تقول لزوجها : " العراقُ هو مستقبلُك طبعوا لك كتاب " ص ١٤٤

الكتابةُ - وفقَ هذه الرؤية – تماثل الروحَ - في نفاستها – ولذلك فهي دليل استمرار الحياة ، ونبض الوجود . يطرحُ السيد حافظ هذه الدلالة في مقدمة الرواية ، كاشفًا عن جانبٍ من جوانب تأزّمه مع الوطن . ومُبرزًا مدى التماهي بينه وبين بطله الإشكالي – فتحي رضوان - يقول: " أنا أكتب إذن أنا موجود. وحين لا أكتب فأنا مفقود .ونادرا ما يكون الوطن حاضرا ويرى الحقيقة التى أكتبها وغالبا ما يكون الوطن غائبا

عن التاريخ ويخرج ثم يعود له الوعى بعد سنين عددا وقد لا يعود أبدا.. ويتوه منا ونتوه معه... "

في هذه الرؤيةِ : يبدو الوطنُ كيانًا مُعاديًا للذاتِ المبدعة – معاديًا بالتجاهلِ وانعدامِ الوعي – ومن ثَمَّ فهو كيانٌ مُعادٍ للحياةِ ، مُستلبٍ للوجود ؛ لأنَّ الكتابةَ تُمثّلُ – في هذا الطرحِ – حضور الذاتِ وشرط الحياة .

ويبرزُ العشقُ – في طرح السيد حافظ – مسارًا قويّا لخلاص البطل الإشكالي من اغترابه وتأزّم علاقته بالوطن وبالذات . وتتخذُ الأنثى الحبيبةُ – سهر - سمات الأنثى الكونية – ممّا ينسجم مع اصطباغ الذات الإنسانية لفتحي رضوان بهذه السمة – ويطرحها الكاتبُ ذاتًا مُطلقةً متكاملة الجسد والروح ، خالدة تمتدّ عبر مراحل التاريخ – فيما يشبه فكرة التناسخ - من خلال انتقال روحها عبر عدّة ذواتٍ أنثويةٍ – ومنها روح لامار –فهي عبارةٌ عن مجموعة من الأرواح التي تتخلّقُ منها في النهاية روحٌ أنثوية كونية فاتنة الجسد والروح ، تكتنزُ قدرة عالية وطاقة أسطورية لإثارة الشهوة ، والسمو ، والتأمل التجريدي . وتبدو وكأنها روح الوجود أو سره ، أو كأنها تشتمل على سر الخلق وأول التكوين ، هي الأنثى الأسطورة ، والذات المكتملة . هي أسمى من الجسد ؛ فلها عطرٌ خاصٌ لا ينبعثُ من جسدها ، وهي الجسدُ الشهوي ، كما تبدو فكرة مجرّدة ، وبديًلا حالما للوطن ؛ ولذلك يُهرعُ إليها فتحي حين يستشعر الوحدة والوحشة . الحبيبة – سهر – وفق هذا الطرح – هي العنفوان والصبا والصبابة والغوايةُ والعقلُ والخلاصُ والحنو والملاذُ ،

و الأنثى الكونية التي يلوذ بها البطلُ خلاصًا من اغترابه . ولذلك يستحضرُ الكاتبُ هذه الحبيبة كلما شعر بإبعاد الوطن له ، أو تأزّمه منه، كما في هذا الموضع ، حيثُ يقول محتَّنًا من المفارقة بين نسبة الأمية في مصر ، وبين وضعيتها الحضارية :

" أين نحن من الحضارة.. أشعر بالخجل. لاشيء حقيقى لاشيء أجمل من عينيك تمسح حزن أيامى أيتها المرأة المدينة الغارقة فى القلق..." ص ١٦١ .

ويقول : " آه يا سهر ، من علمك سر النور من الروح للسماء وسر الكحل في عيون النساء وسر التنهيدة وخيانة حرف الراء لى وخيانة الرفاق وسر سورة قاف..مثلث مرعب.. أعيش فيه.. سحقا لوطن متعثر ٧ الاف سنة ومازال يركب الحمير في القرن ٢١ هل هو وطن جدير أم مهرج كبير..؟؟ أمضى إلى نهديك كل مساء لأنى افتقد الحنان من الوطن واقتسم معك القبلات والفراش. أحيانا أشك أن العدل غائب والقضاء فاسد والوطن يحتاج إلى زلزال وأنى بين شفتيك مهاجر . "

وممَّا يتبعُ هذه الرؤية الإبداعية - للعلاقة بين العشق والأنثى والاغتراب والوطن – المنظور الخاص الذي يطرحه الكاتب للخيانة ؛ فهو لا يصف عشق سهر لفتحي رضوان – أو عشقه لها – بالخيانة - لكونهما متزوجين – ودافعه إلى هذا أن هذه العشق ليس محض علاقة جسدية، بل هو علاقةٌ روحيةٌ جسديةٌ لها دوافعها المعقدة التي يبدو فيها الوطنُ المُستلب مسؤولا مسؤولية تامة . يطرحُ السيد حافظ رؤيته للفارق بين خيانة الزوجة والوطن في هذه العبارة :

" حين تفتح الباب وتجد زوجتك فى أحضان رجل آخر تخونك.. تطلقها.. وتنساها.. ولكن حين تفتح باب التاريخ لتجد وطنك أقصد بلادك تخونك ٧ الاف سنة وتظن أنها شريفة ونظيفة وطاهرة وهى العكس تماما.. ماذا تفعل؟... سيان أن يكون الوطن بخير أو فى ضجر.. فهو قاتل على مر الزمان لكل البشر.." ص ١٥٨

وإنَّ اتسّام الأنثى الحبيبة والبطل الإشكالي بالسمة الكونية – في هذا الطرح – ليدلُّ على وجود أبعادٍ دلالية عميقةٍ للعلاقة الإشكالية بين الوطن والعشق والكتابة . هذه العلاقة تبدو متعالقة تعالقًا لا نهائيًّا ؛ إذ يحتاجُ كلُّ ضلعٍ منها إلى الآخرين .

من هنا نلاحظُ وجود زمانٍ ومكانٍ دائريين في بدء الرواية وختامها ؛ فالروايةُ تبدأُ ليلًا في شرفة شهرزاد ، وتنتهي فجرًا في الشرفة ذاتها . كما تبدأُ – بحكاية الروح المماثلة لسهر – وهي روح لامار – وتنتهي ببدءٍ جديد مع روح أخرى مماثلة لسهر ، هي روح سلمى وقصتها مع بيرتون . وينسجم هذا الختام مع مخاض سهر ، وإنجابها ولد جميل ، ممَّا يؤذن بامتدادها في الوجود من خلال ابنها الوليد ، ومن خلال روحها الأنثوية " سلمى " ، وبذلك يبدو العشقُ لا نهائيًّا في هذا الطرح ، وتبدو الحبيبةُ أنثى خالدة ، لا محدودة ؛ لتظل هي الكتابة والوطن حين يضنّ الواقع بالوطن ، وبالكتابة .

نحنُ أمام نصٍّ روائيٍ هو مزيجٌ من السيرة الذاتية – الفردية والجمعية التاريخية – وفن السّرد ، وفن المسرحية - وغير ذلك من أجناس الأدب -أمام نصٍّ روائيٍ يتعالق مع عدّة أجناسٍ أدبية أخرى – رغم أنّ الكاتب

وضع له تصنيفًا على الغلاف هو المسرواية - وأفترضُ أنّ هذا التعالق هو الشكلُ الفنّي الذي استطاع استيعاب رؤية الكاتب لإشكالية الذات والوطن ؛ واحتواء أزمنة التاريخ – المُستدعاة في المتن الحكائي - واستشراف المستقبل ، وسرد وقائع الذات ، في كيفية تجمعُ بين الرومانسيّ والواقعيّ ، وتتسمُ بالحداثةِ ؛ لهذا المزج بين الأجناس – من جهةٍ - ولتوظيف طرائق الميديا - ومنها الفواصل - و المزجِ بين اللغة الفصحى والعامية واللغة الثالثة في الكتابة . وقد اتّسم الحكيُ بشعرية اللغة – في كل صورها – من خلال الارتكاز على الأسطورةِ والرمز ، والاستعارة ، وتحطيم الحبكة التقليدية ، فضلًا عن اعتماد الصورة التخييلية والإيقاع .

هذا فضلًا عن ارتكاز الكاتب على كيفية خاصة في السرد ، هي الحكي داخل الحكي – من خلال تعدد الرواة – بما يؤدي إلى وجود رواية – أو أكثر – داخل الرواية الأصلية . وهذا الكيفية – أو المنهج – في الحكي تراثيّةُ الأصل مُستقاةٌ من الكلاسيكيات الخالدة ، وعلى رأسها " حكايات ألف ليلة وليلة " ؛ ولذلك استحضر الكاتبُ روح " شهرزاد " لتكون امتداده ، أو الراوي المعادل له ، وجعلها مفتتح الرواية ، ومنتهاها . إن هذه الخصوصية في المبنى الروائي تؤكدُ ما ذهب إليه " إيكو " – في كتابه تأملات في السرد الروائي – من أنّ النص " يُبنى كعالمٍ مغلق ومُكتّفٍ بذاته من حيثُ التحديد الدلالي الذي يُسقطُه المؤلفُ " ، هذا التحديدُ ما هو إلّا الرؤية الفكرية الناجمة من الخبرة الشعورية والفكرية.

د. كاميليا عبد الفتاح حفنى

أستاذة أكاديمية وناقدةٌ أدبية ، وشاعرةٌ ، وكاتبةٌ قصصية.
حاصلة على الدكتوراة في الأدب والنقد من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من أبرز المؤلّفات المطبوعة:

١- القصيدة العربية المعاصرة دراسة نقدية تحليلية في البنيةِ الفكرية والفنية. دار المطبوعات الجامعية. أمام كلية الحقوق بالإسكندرية. ٢٠٠٧ م
٢- الأصولية والحداثة في شعر حسن محمد حسن الزهراني. دراسة تحليلة نقدية. الطبعة الأولى. ١٤٢٩هـ . النادي الأدبي بمنطقة الباحة. المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية . دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٧م .
٣- الشعر العربي القديم. دراسة تحليلية نقدية في ظاهرة الاغترابِ (أبو العلاء المعري نموذجًا). دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٨ م
٤- إشكاليات الوجود الإنساني: دراسة نقدية تحليلية في القصيدة الواقعية والحداثيّة. دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٩ م
٥- رثائيات الفارس المُغيّب دراسة نقدية في شعر د. صالح سعيد الزهراني - دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية. ٢٠٠٩ م
٦- بواعث الاغتراب وجموح التكوين. دراسة نقدية في شعر د. يوسف العارف: دراسة تحليلية نقدية. الطبعة الأولى. النادي

الأدبي بالقصيم . المملكة العربية السعودية ١٤٣٢هـ. الطبعة الثانية دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية عام ٢٠٠٦م.

٧- خصائصُ التشكيل الفنّي في القصيدة العربية المعاصرة. دراسةٌ تحليلية في أساليبُ الأداء اللغوي، وأنواع الصورة الشعرية ، وأنماط الإيقاع ، وبِنيةِ القصيدة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية ٢٠١٦م

٨- الذات والمرايا. دراسة نقديةٌ تحليلية حول تمرئي الوضعية العربية الراهنة في الطرح الشعري المُعاصر. النادي الأدبي بمنطقة الباحة. المملكة العربية السعودية. ٢٠١٦م

المُشاركات العلمية:

شاركت بالدراسات النقدية في العديد من المؤتمرات النقدية – والإبداعية – في الجامعات المصرية والعربية ونشرت العديد من القصائد والدراسات النقدية داخل مصر وخارجها.

العضوياتُ:

عضو عامل في اتّحاد كُتّاب مصر، وأتيليه جماعة الفنانين والكُتّاب بالإسكندرية، عضو رابطة العالم الإسلامي العالمية. عضو لجان تحكيم الدواوين الشعرية، والكتابات المسرحية والقصصية في أدبي الباحة. وعضو في الجمعية المصرية لأصدقاء مكتبة الإسكندرية. حصلتُ على العديد من شهادات التقدير والشكر من المؤسَّسات العلمية - والأدبية - في مصر - والمملكة العربية السعودية.



قراءة نقدية
سيمفونية المضامين الروائية والأنواع الأدبية
بقلم : د. محمد مخيمر

قراءة في رواية حتى يطمئن قلبى
للكاتب الروائى / السيد حافظ

المقدمة :

على الرغم من أن الكتابة العابرة للنوع تعد شكلا من أشكال التمرد على الكتابة التقليدية، والتي تشكل في ذاتها صدمة للقارئ والناقد التقليديين. إلا أنها ليست جديدة على المستوى الإبداعي والنقدي، فتاريخ التراث الأدبي العربي يمتلئ بالعديد من الكتابات التي تمازجت فيها الأنواع الأدبية المختلفة، خاصة ما كان بين الشعر والسرد مثل ألف ليلة وليلة والمقامات والسير الشعبية وغيرها ، كما أن تجاوز النوع الأدبي وكسر معاييره البنائية وإدخال نوع آخر عليه يحتاج إلى المرونة المطلوبة في النوع الأدبي والتي تسمح بدخول نوع آخر عليه. فيؤكد الدكتور عمر عتيق أن "الشكل الروائي يتميز بالانسيابية والمرونة؛ ومن ثم يغدو قادرًا على استلهام أدوات فنية من الفنون الأخرى كالشعر والدراما والسينما والتراث الأدبي الشفاهي، وهو بمزجه بين الأساليب المتنوعة وصهرها في بوتقة السرد، يتميز عن سائر الأنواع الأدبية بقدرته الفائقة على التمرد على الحدود والقواعد، وعلى ذاته أيضاً"

كما يؤكد الناقد الفرنسي جان إيف تادييه أن فن الرواية الذي كان أقل أهمية من الشعر والمسرح في القرن التاسع عشر قد أصبح الآن في الصف الأمامي للإبداع، بل إنه امتص كل الأجناس الأدبية الأخرى. ويؤكد أن الرواية أصبحت تنافس الشعر باستخدامها الوسائل نفسها التي

تجعل من بنيتها منافسة للبيت الشعري من حيث امتلائها بالاستعارة وتلاعبها بموسيقى الكلمات، كما أن الرواية أصبحت تأخذ من المسرح المونولوج والحوار. وبالتالي فقد أصبحت الرواية هي المنفذ الأهم للكتابة عبر النوع والتمرد على التقليدية الإبداعية لإنتاج كتابة تنتصر للإبداع أكثر من انتصارها لنوع بعينه.

بينما أرى بشكل شخصي أنه وعلى الرغم من أن الكتابة عبر الأنواع موجودة في التراث الأدبي منذ زمن بعيد إلا أن المعضلة الأكبر هي مهارة الكاتب والأديب في مزج أكثر من نوع أدبي بشكل لا يحدث إلا تناغما وتوافقا بين الأنواع التي يرى تمازجها، بحيث يمكنه تضفيرها دون نفور ونشاز بين مكوناتها والهدف الأدبي الذي يمزج الأنواع من أجله.

وقد أجاد الكاتب الكبير السيد حافظ في روايته التي نحن بصددها "حتى يطمئن قلبي" والتي عنونها كـ "مسرواية" أي "مسرحية – رواية" في إيجاد ضفيرة متداخلة بين أكثر من نوع أدبي، ليس المسرح والرواية فحسب، بل كذلك فن السيناريو السينمائي، والكتابة التأريخية التوثيقية، والتصويرية الشعرية، والقص القصير جدا، فأنتج لنا سيمفونية أدبية تمازجت فيها الأنواع الأدبية وكان هو بمثابة المايسترو الذي يدير آلاته الموسيقية بحرفية شديدة.

ملخص الرواية :

تعد رواية "حتى يطمئن قلبي" أحدث أجزاء المتوالية الروائية التي يروي من خلالها الكاتب قصة أرواح سهر التي تجسدت عبر عدة عصور

في شخصيات مختلفة، تحكي لنا التاريخ من وجهة نظر مختلفة، أو بمعنى آخر تحكي لنا التاريخ كما يجب أن يكون عندما نراه من عدة زوايا، فيصير الحكي متكأ وتصير الحكاية معادلا موضوعيا للحاضر بكل تجلياته، فكانت هذه الحكاية لروح سهر الخامسة لامار وقصتها مع ضوء المكان في قصر الملك العاضد بالله آخر خلفاء الدولة الفاطمية وبداية حكم صلاح الدين الأيوبي في مصر ووزيره قراقوش، بعد أن كانت الحكاية الأولى لقصة نفر فى عهد أخناتون، والحكاية الثانية لنور وقصة حبها مع الضابط محب فى عهد موسى عليه السلام، والحكاية الثالثة لشمس وقصة الحاكم بأمر الله الفاطمي، والحكاية الرابعة لوجد مع نيروزي وقصة الشدة المستنصرية في عهد المستنصر بالله الفاطمي.

وقد تم ذلك بشكل متواز مع الحكاية الأصلية التي تروي قصة سهر مع حبيبها فتحي وإسقاط التاريخ على الحاضر واستلهام المستقبل، مع وجود الفواصل التي تمثل نصا موازيا للنص الأصلي تكمل بناءه وتفكك تماسكه لتعيد بناءه من جديد فتنتج نصا روائيا مسرحيا سينمائيا تاريخيا شعريا حكويا متداخلا في آن واحد.

الاختلاف بين هذا الجزء وأسلافه من الأجزاء السابقة :

يعد هذا الجزء - وإن كان يظهر من شكله الخارجي أنه صورة خامسة لنفس الأصل – مختلفا ظاهريا وبنيويا عن الأجزاء السابقة، بل يعد من وجهة نظري أكثر الأجزاء دهشة وتطورا وتمكنا من شكله التجريبي المتفرد، سواء على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون والحبكة الروائية وتطور الأحداث. وفيما يلي أبرز الاختلافات بين هذا الجزء

والأجزاء السابقة عليه؛ حيث لا يمكن قراءة هذا الجزء بمعزل عن أجزائه السابقة :

أولا : على مستوى الشكل :

فقد اتخذ هذا الجزء شكلا متداخلا بين فنون السرد المختلفة، كالرواية والمسرح والسيناريو السينمائي، في متن الرواية الرئيس، وبين القصص القصيرة جدا والسرد التاريخي والحكائي في المتن الموازي في صورة فواصل. بينما اعتمدت الأجزاء السابقة على المسرح والرواية بشكل رئيس أكثر من اعتمادها على السيناريو السينمائي في المتن الرئيس. كذلك كانت الفواصل تعتمد في معظمها على نسق أدبي واحد كالسرد الذاتي للكاتب نفسه كما في "ليالي دبي"، أو المسرح والقص القصير جدا والشعر كما في "كل من عليها خان".

فكان الكاتب في الأجزاء السابقة يعتمد لغة المسرح الصافية بإرشاداتها وحوارها دائما في القصة التاريخية التي تحكي تجسد روح سهر في شخصيات عبر التاريخ، فكنا أمام نوعين سرديين هما الرواية في قصة (سهر) و(فتحي) في الزمن الحاضر، والمسرح في قصة روح (سهر) في الزمن الماضي. بينما اعتمد السيد حافظ في هذا الجزء على كسر هذا الشكل؛ فكان السيناريو السينمائي يتداخل مع الفن الروائي والمسرحي على حد سواء سواء في مستوى الحاضر أو المستوى التاريخي، فنجده غالبا يبدأ مشهده بتوصيف الزمان والمكان ودرجة الحرارة قبل الدخول إلى عالم المشهد، فيتمازج العالم الواقعي لـ (سهر) مع عالم التاريخ لروحها المتجسدة (لامار) في مشاهد متلاحقة متداخلة

لم تنفصل حتى نهاية النص.
بينما كانت الاستراحات أو النص الموازي يعتمد في الغالب لغة خطاب شعرية الأسلوب تأريخية المضمون في صورة أذان وركعات، فكان الأذان بأصوات ولأصوات الشيخ محمد رفعت وعبد الباسط عبد الصمد ومحمود خليل الحصري والشيخ سيد النقشبندي، بينما كانت الركعات تناجي أرواح سعد الدين الشاذلي وأخناتون وجلال الدين الرومي وركعة لكل من نزار قباني ومحمود درويش. أو في صورة حكايات إذاعية برامجية عن قراقوش تناولت الأساطير الفكاهية عن ذلك الوزير الذي حكم مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي. وكأننا أمام شاشة تعرض لنا الحياة والتاريخ والأذان والصلاة والشعر والبرامج في قناة يرأسها السيد حافظ يختار محتواها بعناية بالغة حتى يطمئن قلبه وقلبنا معه.
كذلك عمد السيد حافظ إلى حالة أخرى من حالات التجريب، والتي تبرز إمكانياته في امتلاك زمام الحكي والسرد، دون أن يلقي بالقارئ في غياهب التيه، ألا وهي الحكاية داخل الحكاية، فكان القارئ في وقت من الأوقات داخل ثلاث حكايات في وقت واحد، الحكاية الأولى حكاية (سهر) مع (شهرزاد)، وبداخل هذه الحكاية تحكي (شهرزاد) حكاية (لامار) مع (هوى) وهي الحكاية الثانية، وفي داخل الحكاية الثانية تحكي (هوى) حكاية (العالية) مع (الآمر بأحكام الله) وهي الحكاية الثالثة. والتي تقع تقريبا في نفس مرحلة ترهل الحكم الفاطمي، الذي تقع فيه أحداث الحكاية الثانية.

ثانيا : على مستوى المضمون :

لم تكن الحبكة لجميع الخطوط الدرامية في الأجزاء السابقة تتطور بشكل متواز مع بعضها البعض، فكانت الحكاية التاريخية في كل مرة تبدأ وتتطور وتنتهي بينما قصة (سهر) مع (فتحي) أو مع (منقذ) لا تتطور بالشكل المرضي للقارئ، فلم تكن الحبكات متوازية التطور ولم تكن المعادلات الموضوعية ظاهرة بشكل واضح، على عكس هذا الجزء "حتى يطمئن قلبي" الذي تطورت فيه جميع الحبكات الدرامية بشكل متواز ومتكافئ، وظهرت فيه المعادلات الموضوعية بشكل واضح.

فكانت الخيانات الزوجية عاملا بالغ الوضوح في جميع مستويات الحكايات الثلاثة الرئيسة، وكان الأزواج متخاذلين أمام زوجاتهم الخائنات وأمام عشقهم لهن، فنرى (منقذ) يكتشف خيانة زوجته (سهر) له وعلاقتها بـ(فتحي) واحتمالية حملها منه، فلا يكون منه غير البكاء ومطالبتها بعدم إجهاض الجنين " الولد الذي في بطنك أنا أريده.. أريد أن أكون أبا.. حتى لو لم أكن أباه". كذلك نرى في الحكاية الثالثة اكتشاف (الآمر بأحكام الله) خيانة زوجته (العالية) وخنوعه أمام عشقه لها فلا يأمرها إلا بعدم مراسلة عشيقها والبقاء معه " اقسمى لى إنك لن تكتبى له شعرُا أو تراسلينه بعد ذلك.".

كما كانت قصة صلاح الدين الأيوبي بمثابة عش الدبابير الذي قرر أن يدخله السيد حافظ بكامل إرادته، فصلاح الدين الأيوبي له في الذاكرة الجمعية تاريخ ناصع لتحريره بيت المقدس، فجاءت هذه الرواية لتحطم هذه الصورة المبنية على وجهة نظر تاريخية واحدة لتضع أمامنا رؤية

جديدة لهذا القائد تتجاوز كونه بطلا أسطوريا في المخيلة الجمعية وتنزع عنه أسطورية العدالة وهالة التقديس لنراه إنسانا يخ طيء ويصيب، يستبد ويقتل ويتآمر ويحكم ويتصالح، فيكون السيد حافظ بذلك قد صدم التقليديين في قراءة الرواية وقراءة التاريخ على حد سواء.

تداخل المضامين الحكائية :

كما كانت الأنواع الأدبية متداخلة في رواية "حتى يطمئن قلبي" وكما تداخلت الحكايات، كانت المضامين الروائية أيضا متداخلة بشكل منسجم وبديع، فالروايات يمكن تصنيفها وفقا للمضامين إلى روايات تاريخية أو روايات رومانسية أو روايات اجتماعية أو روايات سياسية أو نفسية إلى غير ذلك من المضامين التي لا يتسع المجال لذكرها، وقد تتداخل مجموعة من المضامين الثانوية داخل المضمون الرئيس، فقد نجد رواية تاريخية المضمون بها ملمح رومانسي أو نفسي ولكن هذه الملامح لا تشكل نسقا روائيا مستقلا بل تكون تحت راية التاريخ الذي يعبر بنا عبر هذه الملامح لينفذ سطوته ويحقق هدفه.

أما في هذا الجزء من المتوالية الروائية والمعنون "حتى يطمئن قلبي" نجد أن هناك عددا من المضامين المتداخلة فيما بينها، بحيث يشكل كل مضمون فيهم نسقا مستقلا لا ينحني تحت راية نسق آخر، بل تتوازى كل تلك المضامين مشكلة لوحة شعورية متكاملة لا تطغى إحدى مكوناتها على الأخرى؛ فنرى المضمون التاريخي بارزا في حكايات (لامار) وقصة (العاضد بالله) و(صلاح الدين الأيوبي) و(الآمر بأحكام الله) و(قراقوش)، بينما نرى المضمون الرومانسي صارخا في حكايات (العالية) مع (الآمر

بأحكام الله)، و(سهر) مع (فتحي رضوان) ذلك الخط الدرامي الملتهب عشقا والمتوهج بمونولوجات الشوق والغرام، كما نرى المضمون الاجتماعي بارزا في حكاية (فتحي رضوان) وقصته مع وطنه وزوجته وعمله، بينما نرى المضمون العجائبي في قصة (شهرزاد) ومعرفتها بقصص أرواح (سهر).

وقد استخدم الكاتب لتنفيذ هذه المضامين العديد من الشخصيات الرئيسة والثانوية والهامشية التي يحتاج التحكم فيها وتسييرها داخل خطوط البنية الروائية مجهودا شاقا جدا، يستلزم معرفة كيفية دخول وخروج كل شخصية وتطورها الدرامي ودورها في بناء العقدة وحلها، بحيث تتمازج ولا تتنافر، تترابط ولا تتفكك بنيتها النفسية والاجتماعية والشعورية طوال النص الروائي، كذلك استخدم تقنية الخطوط الدرامية المتشابكة "العنكبوتية" التي تتصل أطرافها ببعضها البعض عن طريق الحكي تارة وعن طريق العلاقات المباشرة تارة أخرى. وهي الطريقة التي مكنت الكاتب من زرع علاقات شعورية بين الخطوط الدرامية المختلفة جعلتها مترابطة، حتى وإن اختلفت بيئتها التاريخية والاجتماعية. فكانت حكايتا (لامار) و(العالية) خطين دراميين متصلين ببعضهما وبالخط الدرامي لحكاية (سهر) عن طريق الحكي، بينما كانت بقية الخطوط الدرامية داخل الحكايات الثلاثة مترابطة بعلاقات مباشرة بين شخصياتها. فلم يشعر القارئ أنه يقرأ ثلاث روايات منفصلة، بل رواية واحدة بثلاث تجليات مترابطة.

الخاتمة :

إن العمل الإبداعي لا يكون إبداعيا إلا إذا أتى بالجديد المبدع المتناغم والمتناسق مع بعضه من حيث الشكل ومن حيث المضمون، وكلما تداخلت الأنواع والمضامين احتاج ذلك من الكاتب مهارة في قدرته على امتلاك أدوات الكتابة الأدبية عبر الأنواع وعبر المضامين وبالشكل الذي لا يجعل من الكتابة العابرة للنوع مجرد تجاور لنوعين أو أكثر من الأجناس الأدبية، بل يجعلها كنسيج واحد لا يمكن فصله. في تناغم يشبه تناغم الآلات التي تعزف لحنا واحدا، وبينما لكل آلة صوتها المميز فإنها لا تخرج عن دورها في رسم الصورة الكاملة للسيمفونية، ولا يستقيم اللحن بدونها. وقد كان السيد حافظ في نصه المتداخل - الذي من الظلم أن نطلق عليه مسرواية - بمثابة المايسترو الذي أجاد التحكم في أدواته وآلاته الموسيقية فأدارها باقتدار. "حتى يطمئن قلبي" عمل مميز باقتدار، استمتعت به وفي انتظار الجزء الجديد.



عناق وطن جريح لمواطنه المقهور ظلماً
حتى يطمئن قلبى
للأديب / السيد حافظ
بقلم د. داليا بدوي

رواية تنطلق من الذات الخاصة للروائي لتمتد إلى ذات الواقع العربي المتهالك من الخليج إلى المحيط، لتتحدث من قلب المجتمع المعاصر لتبرز الوجه الحقيقي لمصر التي أطفأت بريقها الأحداث والانهزامات، يرسم فيها الأديب لوحته بحرفية من خلال متضادات تحملك إلى منعطفات شديدة تجرفك من الحقيقة إلى الخيال، ومن الواقع إلى التاريخ بمجموعة أبطال يديرهم في حوارات وإطلالات ومشاعر تتأرجح ما بين الانتماء وضياع الهوية تارة، وجنون الحب والرغبة تارة أخرى، ليجذبك بها إلى عالمه بوعي لا يليق إلا بأديب كبير ومسرحي متفرد.

يتفرد الكاتب بتعدد المقدمات المؤثرة

" لماذا أكتب كل هذا الكم والكيف؟

لأني كما قال المتنبي ومحمود درويش

على قلق كأن الريح تحتي

لقد تحررت من شهوة البحث عن الشهرة والجوائز الأدبية وحفلات التكريم.. ما أجمل أن تكتب وتقرأ وتتأمل بحرية متخلصًا من عبودية الشهرة والجوائز "

تجذبك الأحداث بسحرية إلى أعماق الماضي لتستمد أبهار أركانها، وتوثق التاريخ بمعلوماتية وثقافة يشهد لها القارئ الواعي كما يترك مساحة الحرية للحكم علي الأحداث دون أي لبس أو تردد، ودون أن تنفصل عن الأحداث بحرفية الأديب المعهودة في الربط والدمج بسرد مسرحي يربط الصورة بالحدث وبمفردات لغوية ساحرة، وأسلوب يتمتع

بشاعرية عالية و اقتباسات أدبية ناتجة عن روائي متمكن من أدواته، عاشقاً لتراب الوطن.

التزم الأديب بعهده على نفسه في مسراويته بتوحد الجسد والوطن، الغربة وثقافتها وأوجاعها، زلزلة المشاعر والحب المحرم والأمل الضائع ما بين الرغبة والشهوة، الثقافة وعادات المجتمع المنافق، الطمع والظلم من خلال إسقاطات تاريخية يبرع فيها الأديب، إلى جانب النزعة الدينية والتناص مع آيات القرآن والرقائق والسيرة.

تمتلىء الرواية بحقائق رائعة موثقة بإحتراف لتصحح الكثير من المفاهيم الخاطئة وبشكل لا يدع أي مجال للشك وكأن الأديب يرسخ في عقل القاريء لاسيما الشباب منهم لإعادة أكتشاف وترميم التاريخ دون تحريف أو تزوير.

استخدم الروائي العتبات لفصوله و التي شكلت نصوص موازية غير سردية ، لكنها موظفة بشكل قوي كأسلوب للنقد أو السخرية أو كشهادة للتأريخ، وهي مقصودة من قبل الأديب لإبراز بعض المواقف لتتناص مع التاريخ أو تكسر وتيرة السرد وفي بعض الأحيان لإستحضار بعض القضايا السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية ،وفي أحيان لإبراز المعاناة و الإنكسار و الضياع لأبطاله من زاوية يريد من القارىء أن يراها بذكاء الأديب ووعي القارىء، أو ليربط الواقع بالماضي ويعري الحقائق بدهاء ووعي أديب متعمق في عشق الوطن حتي النخاع.

من أول سطور الرواية يحرص الأديب من خلال أبطاله دائمًا على ذلك الإنسان العربي المسكوت على حقه والمسلوب حقه، الذي يعيش في

واقع و يدرس التاريخ كالقرآن في مصداقيته رغم تحريفه، و يحيا رغباته ونزواته في سرية تحت قناع يواري سوئته عن ذلك المجتمع مدعي المثالية في الظاهر و ممارس الفواحش في عزلته، مدعي التدين في ظاهره وممارس الإرهاب في باطنه، ذلك القاتل والمقتول، الظالم والمظلوم.

لا يخفي علي مريدي أديبنا الكبير أننا بصدد مسراوية تقع أحداثها ضمن سبعة أجزاء تروى من خلال مجموعة أرواح "لسهر" بطلة الأحداث التي تمثلت عبر عدة عصور في شخصيات متعددة:

الحكاية الأولى: لنفر في عهد اخناتون

الحكاية الثانية: نور وحبها لمحب في عهد موسى عليه السلام

الحكاية الثالثة: شمس والحاكم بأمر الله

الحكاية الرابعة: وجد مع نيروزي وعرض الشدة المستنصرية

الحكاية الخامسة) التى نحن بصددها " لامــار" :

لامــار في قصر أخر الخلفاء الدولة الفاطمية وبداية حكم صلاح الدين الأيوبي ووزيره قراقوش.

تروي لنا التاريخ من عدة زوايا وتعد هذه الروح الخامسة "لسهر" وهي "لامار" وجودها يفتح أبواب التاريخ بأبنة السابعة عشر .. كلما سارت في الشوارع بعثت بنورها وهجًا في قلوب الرجال.

كانت ابنة لأبيها تاجر بسيط من أهل اليمن ، في زمن الفقر والجوع كانت تنهب الأموال و تسبى النساء والأطفال ليباعوا عبيدًا في الأسواق و هذا ما حدث لروح بطلت مسراويتنا "لامار" حيث باعها الخناس

بسوق العبيد بمصر وفي الطريق أكتشف عطر جسدها.. لكنه كان معاقرًا للخمر والغلمان ..لتصبح من بعدها جارية في قصر الخليفة لتتعرف إلى صديقتها هوى التي أخبرتها بأسرار البنات .

تفاصيل القصر مبهرة ولاسيما حينما زادها الأديب بحقيقة الخليفة العاضد وكونه لا يستطيع مضاجعة النساء على الرغم من وجود أكثر من عشرين ألف جارية جميلة لخدمته والتسرية عنه!

ليظل منغمس في ملذاته في حين الغلاء يتوحش والقمح شحيح ، والقاهرة تحترق ، وعكا تسقط وطرابلس تضيع.

يخرج بنا الأديب خارخ القصر لنرى الواقع الأكثر قبحًا، نجد الوزير "شارو" ذلك الوزير الأحمق الذي حرق القاهرة لمجرد سماعه صوت يهتف ضده؟! لتشتعل النيران أربعة عشر ليلة، ليستعين بنور الدين محمود زنكي حاكم الشام، فيرسل له جيش بقيادة صلاح الدين الأيوبي.

وتعد الحكاية الخامسة من أكثر الأجزاء أدهاشًا و إبهارًا في رأيي المتواضع على المستوى التاريخي والحبكة وربط السرد والمشهدية العالية، فالأديب بدأ فصوله بتوصيف الزمان والمكان وحتى درجة الحرارة ليدمج بذلك العالم الواقعي ما بين "سهر" و "فتحي" وروح "سهر" مع العالم التاريخي لـ "لمار" في أحداث متداخلة بإحترافية الأديب المعهودة من خلال الحكاية داخل الحكاية، حتى أن القارىء يجد نفسه في وقت من الأوقات داخل ثلاث حكايات في آن واحد.

الحكاية الأولى : "سهر" – "شهرازاد"

الحكاية الثانية: "شهرازاد" تحكى حكاية "لامار" – "هوى"

الحكاية الثالثة: "هوى" تحكى حكاية "العالية" - "الآمر بحكم الله"

وكل واحدة من الحكايات داخل الأخرى دون أن تتسبب في دخول القاريء في تيه أو تشويش.

الفواصل مابين السرد كسرت الملل الذي قد يتسرب لنفس القارىء من غزارة الأحداث وعمق تاريخيتها لتأتى كنصوص موازية تعتمد في الغالب على اللغة الشعرية لتعرض المشهد ما بين صوت الآذان دالًا على صفاء النفس وراحتها وصلاة لتكتمل اندماج الراوى والقاريء في حالة صوفية مريحة للروح

ثم يقدم للسرد شعرعالمي وبرامج إذاعة.

صوت الآذان

بأصوات المشايخ محمد رفعت وعبد الباسط والحصري والنقشبندي

ركعات الخشوع

على روح الشخصية التي يعظمها و كأنما يحث القاريء ويطلب منه مشاركته احترامها وتوقيرها

حكايات المذياع

والأساطير الفكاهية عن الوزير قراقوش الذي حكم مصر في عهد صلاح الدين، تلك الشخصية المثيرة للجدل في تاريخنا المصري، ليدق ناقوسالخطر على تفشي الظلم في الأوطان من قبل الحاكم.

أبيات الشعر لكبار الشعراء " نزار قباني – محمود درويش – اخناتون – جلال الدين الرومي " والتى تنسجم بشكل رائع مع نسيج الحكي.

قد بدأ الأديب بحكاية العشق ما بين "فتحي رضوان" و"سهر" في دبي حيث كل منهما متزوج من آخر، و كيف أنهما انجرفا إلى ممارسة الحب

المحرم، لتتشابك الأحداث بظهور كاظم حبها الأول قادمًا من لبنان ليستقر وزوجته في دبي، لتزداد الأمور توتر وتعقيد!

الخيانات الزوجية في مسراوية "حتى يطمئن قلبي" بالغة الوضوح عرضها الأديب في أكتشاف زوجة الوزير " شارو" لخيانته لها مع جارية رومية، في الحمام الخاص بجناحها، ظلت تصرخ وساءت حالتها مما دفع الوزير للإستعانة بالشيخ عثمان الذي دخل حجرتها فشقت ملابسها وتهاوى الشيخ أمام الجسد الفاتن، ظل شهورًا في حجرتها فأدمنته ولاسيما أن زوجها دائم الإنشغال عنها.

وفي نقلة محورية تحولنا من الماضي إلى الحاضر لنلتقي "منقذ" يكتشف خيانة زوجته "سهر" له وعلاقتها مع "فتحي رضوان" واحتمالية حملها منه، فلا يكون منه إلا البكاء والأدهى يطلب منها عدم اجهاض جنينها، على نفس الخط الموازي يفتح الأديب صفحة التاريخ على إكتشاف "الآمر بأحكام الله" خيانة زوجته "العالية" وخنوعه أمام عشقه لها فلا يكون منه إلا أن يأمرها بعدم مراسلة عشيقها والبقاء معه!

" أقسمي لي إنك لن تكتبي له شعرًا أو تراسيلينه بعد ذلك."

قرر الأديب أن يفتح حكاية صلاح الدين محرر القدس في عقول العرب وصاحب الآيادي البيضاء في التاريخ ليحطم هذه الصورة، ويضع رؤية جديدة لهذا البطل والقائد يعرى الحقائق ليكشف جانب الإنسان الذي يخطيء ويقتل ويتآمر!

لينعطف بالقاريء في منحني حاد ينتبه به إلى حقائق جديدة تثير التفكير وتحث على البحث.
ليفتح باباً على تفاصيل الواقع السياسي والإقتصادي في مصر والكويت ودبي والعراق.

وختامًا

الكتابة في مسراوية الأديب " السيد حافظ " هي ابداع احترافي يكشف أماكن النزف في قلب الأوطان، وفضح المستور بجراءة تحكمها قدراته اللغوية وقبضه على أدواته وسعة ثقافته وصوفيته .
نحن أمام ملحمة روائية تاريخية ثقافية تدعونا إلى التأني والتفكير في قضايا فارقة :

{ الإنتماء – حب الوطن – الغربة – الخيانة – التدين – صراع السلطة }

بقلم د. داليا بدوي

مركزية الإغواء الإيروسى
في الرواية
بقلم د. رائدة العامري

(حتى يطمئن قلبى)
عناق وطن جريح لمواطنه المقهورة ظلما
الأديب السيد حافظ

ملاحظة بالنسبة للمقال يبدو أن الكاتب لديه بعض الإلهام بالإتيان السرد من حيث استخراج والاستظهار، والتي تضيف القصة إلى مجموعة حكايات، غير انه لم يكن ملما بكل أطراف القصة مما ضيع على القارئ فرصة الإلمام بالقصة، فضلا عن الأخطاء اللغوية والإملائية.

الرواية عبارة عن وصف متقطع غير واضح المعالم كما هو واضح لدينا، الرواية تتحدث عن واقعين واقع زمنه التاريخ الماضي وواقع الحاضر, وقد اختار الكاتب زمن تاريخ فيه نوعا من الص ارع والتفكيك الاجتماعي والثقافي والسياسي، ولاسيما فترة الأمراء، والحكام الضعفاء، الذين حكموا في فترة من فت ارت التاريخ البلاد العربي ولاسيما مصر.

فالاتكال على الماضي وعملية الإسقاط والاعتماد على (الفلاش بك) وهي طريقة أو أسلوب روائي يعتمد عليه المبدع العربي، لكي يعمل على تسليط إشكالية في الواقع الحاضر. فهي تتناص مع قصه) شهرزاد وشهريار (من حيث الخيانة، وهذه القصص في طبيعتها ذات طابع ذكوري سلطوي مهيمن.

فالكتابة مشروع الحياة ما يبيناه في تقديم هذا الأثر قد يدعو إلى التساؤل وما تمثله هذه التناص، إذ انه يمنح المتلقي حرية التأويل وإعلاء الشأن وخضع السلطة في النص للتعامل مع تلك القيود وتعاملها مع الحياة

وصلتها بالأخر، إذ أحاطت بهالة الغموض الذي يحتاج أن يفتش عن طريق النص.

محاولا أن تلصق بالمرأة، وتبينها بطابع الجسد أي (غير عقلانية)، فالتركيز على ثيمة الخيانة لها تداعيات في الواقع العربي، فظلا ع ن الخيانة الاجتماعية التي تتطور إلى الخيانة السياسية، وفي الوقت ذاته وحسب فهمنا أن القصة تريد تبين الطابع العرب وخيانتهم لفلسطين من حيث تركوها وحدها، وهذه الفكرة تناص مع قصيدة القدس عروس عروبتكم للشاعر (مظفر النواب)

القدس عروس عروبتكم

من باع فلسطين وأثرى بالله

سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام

ومائدة الدوال الكبرى؟

فإذا أجن الليل

تطق الأكواب بان القدس عروس عروبتنا

إن القارئ يجد حكايات لا يمكن تصنيفها زمنيًا. فالترتيب أو الانتظام لحضور الخيانات في زمن الذي اختاره الكاتب، كاشفًا لما كان يحدث في دهاليز وأروقة الأماكن البعيدة عن الوعي العربي، والذي يمكن أن نسجله في حياة القصور ودور الجواري في تيسير أمور الحكم. فالمحرك الرئيسي للحكام العرب أو من كان يحكم بلادهم.

إذ كان الجنس والفعل الأيروسي ودوره في فضح قضية مهمة يمكن ان يقتل العرب من اجلها هي في حماية الشرف أو حماية شرف المرأة،

فالخيانة هي ليست خيانة اجتماعية، بل هي كشف عن علامات تسجلها المضمرات الثقافية في هذه الرواية، وذلك من حيث الإسقاط على الواقع العربي الذي وجد المبدع نفسه محاط بطوفان أو غيمة سوداء، ومسار أخلاقي جديد، يدعم تيار ثقافي قيم ينهض على المصلحة والبرجماتية في التعامل مع الواقع ، حتى انه يمكن أن تمثل الخيانة حكمة ودهاء سياسي واجتماعي، والرواية تكشف عن نسبية الأخلاق ودورها في التأقلم مع كل قالب أو موقف اجتماعي، وان الخيانة التي كانت تحدث في الماضي لها جذور وجينات في الوقت الحاضر وهي نقد للنفاق والعمى الأخلاقي والاجتماعي والثقافي.

وأن اختيار الروائي لرموز شعرية وتاريخية كلها تشير إلى خيانات حضور الطاغي، وتسل طن من نوع خاص، الذي تحتاج إلى م ارجعة ترميزيه يمكن أن تساعد في إضفاء نوع من الثراء والعمق، فالرمز هو الشفرة أو البصمة الوراثية التي تستحضر التاريخ والعمق الجمالي والثقافي، أو ما يمكن أن يطلق عليه القدس ، فالرمز يحاور المقدس الذي يمكن عبر التاريخ عن طريق آلية التكرار والتلقين يمكن أن يتحول إلى حقيقة، فالرمز أو الاستعارة كما قال الفيلسوف (فريدريش نيتشه) يمكن يتحول إلى حقائق بسبب البعد التاريخي والتكرار والعودة الأبدي، وهو ما حاول الروائي الكشف عن طريق حضور كل الرموز التي تفشي بإحداث الخيانة أو القريبة منها. تجعل المتلقي في تعامله مع النص يجد رؤية مختلفة.

للتنويه ينبغي أن تكون هذه الحكايات (١، ٢، ٣، و...) متسلسلة أي مترابطة أحدهما بالأخرى، ضمن تحت إطار عام تسمى الحكاية الكبرى وهذا يسمى ما بالسرد (القصة الإطار، والقصة الداخلية) مثل (شهرزاد) قصة كبرى وفي داخلها ألف قصه. أو تكون على الطريقة المتوالية القصصية، إي أنها كل قصة تكون مستقلة بذاتها، وبالتالي تأتي القصة الثانية وهكذا، تكون مستقلة لكن ثمة خط يربط بين الاثنين.

أ. رائدةالعامري



قراءة نقدية : الهجائيات المينيبية ونمط الكتابة عبر النوعية

بقلم أ. إيمان الزيات

قراءة في رواية
(حتى يطمئن قلبى)
للأديب الكبير السيد حافظ

توطئة

الميني بية هي خليط كتابي يجمع بين المتناقضات ويقطع خيط الاتصال السردي باستخدامه لمجموعة من الأصناف الأدبية المركبة والأحداث والرسائل والأقوال التي تنحرف بالسرد، أي أنها تعد نوعاً من أنواع الكتابة غير النوعية، أو امتداداً لنمط تلك الكتابات التي تتشكل بخلط مجموعة من العناصر الأدبية (كالشعر، والقصة، والمقالة...الخ) والمزج بين تقنياتها في عمل أدبي واحد يسمح باندماجها واختلاطها في متنه.

المسرواية هي أحد نماذج تداخل الأجناس الأدبية وهو ليس أنموذجاً تم استحداثه بل هو طاعن في السن؛ إذ ترجع أصوله إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وهو شكل أدبي تتعاقب فيه الصيغتان المسرحية والسردية وتتواليان، تقوم على فكرة تراسل الأجناس بتفعيل خاصية الحضور عن طريق(الصوت/ الحوار/ الخطاب) والمزج الماهر بين الحاضر البصري والماضي المستحضر، ومن أمثلتها في الأدب العربي (بنك القلق) لتوفيق الحكيم، و(نيويورك ٨٠) ليوسف إدريس.

لماذا المسرواية؟!!

ربما لأنها النمط الأدبي الذي يقوم جنساه بشد عضد بعضهما البعض، من خلال رتق المهترىء في ثوب السرد بالحوار المسرحي من جهة لتحديد أبعاد الشخصيات واستنطاق حقائقها عن طريق تقابل وجهات النظر حول مسألة بعينها وهو ما يسمى (بالسنكريزات الحوارية)، أو استفزاز الكلمة بالكلمة بواسطة (الأناكريزات الحوارية) كما هو الحال

في الحوار السقراطي، ومن جهة أخر ي: محاربة الجفاء النقدي للنصوص المسرحية بالاستغناء السردي، الأمر الذي يسد حاجة النصوص المسرحية الحتمية لتأويل نقدي يتناول دلالات المواقف والتصرفات بالشرح والتحليل، ويجسد الصورة التي أراد المؤلف أن يرسمها لكل من شخصيات مسرحيته بأبعادها (الجسمية/ الاجتماعية/ النفسية/ الأخلاقية) ويصف فضاءات الزمان والمكان عوضاً عن ضرورة مشاهدتها على خشبة المسرح، ويصبح بذلك النص الورقي بمثابة (ماكيت) مصغر للعرض المسرحي الكبير؛ فالعلاقة هنا بين الرواية والنص المسرحي نفعية تكاملية تهدف في النهاية لتخليق وعياً تاماً بموضوعات النص وأفضيته وأطروحاته الإيديولوجية.

يعتقد المنظر الروسي (ميخائيل باختين) أن "الرواية معجونة بعجينة أخرى مختلفة عن الأجناس التامة والمكتملة، وأنها ذات مختلفة، معها وفيها ولد مستقبل كل الأدب" .

ويقول(باختين): "إن وحدها الرواية لا تملك قانوناً"

في مسرواية (حتى يطمئن قلبي) تتحقق تلك المقولة فتولد لنا الروح الخامسة لسهر وهي (لامار)- بريق الذهب أو الألماس- بعد الأرواح الأربعة السابقة (نفر/ نور/ شمس/وجد)، ويولد معها نصاً أدبياً رحيباً ومهجناً بامتياز(لا عهد للتجنيس به) يجمع بين جماليات وتقنيات مجموعة من الأجناس الأدبية التي تم تنضيدها بحرفية عالية في مصفوفة متسقة على الرغم من تباينها، ومنظومة متصلة يسهل فصلها، يتماهى بداخلها(السرد الروائي، والحوار المسرحي)، نص تم حياكته

جيداً وتوثيق عراه بالتقنيات، والإساءة إليه بقولبته داخل مسمى (المسرواية) الذي أرى أنه انتقص من رحابة العمل كثيراً، ووضع له أطراً قد يتناسى معها النقاد روعات تداخل الأجناس والأشكال الكتابية الأخرى في النص، ورحابة الفضاءات والعتبات الفنية به.

فهو يتموقع في بؤرة جامعة للكثير من الأجناس الأدبية والأشكال الكتابية التي تدفعنا للميل إلى وصفه بالنص المينيبي، الذي تستطيع أن تقرأ وتشاهد فيه مجموعة من المشاهد الحوارية المتنوعة: (حوار أفقي في السرد، و رأسي في المسرحيات، وحوار داخلي في مجموعة الهمسات والتغريدات)، وتستمتع بتقنيات الشعر (كالسجع/ الطباق/ التخييل)، وتقف على مجموعة لا بأس بها من المعلومات التاريخية والمعرفية؛ وتتمظهر بداخله أساليب المراوحة المستمرة بين (الأدبي والتاريخي/ الواقعي والخيالي/ الماضي والحاضر/ الذاتي والعام/ السيسيولوجي والاجتماعي) فيقف النص دوماً على التخوم دون السقوط في هوة التنميط.

ومن هذا المنطلق يكتب الأديب (السيد حافظ) نصوصه الروائية معلناً الحرب على النمطية وعلى نفسه؛ فلا تكرار ولا تشابه، نعم مازالت اللعبة (التفكيكية) حاضرة، ومازال القارىء يستطيع إعادة تركيب النص بطريقته تبعاً لتأويلاته الخاصة، ربما تحافظ نصوصه على ملامحها الأصولية التي بدأت بها كفكرة (القصة الشجرية) التي تنشأ على لسان الراوية (شهرزاد) وتحكيها (لسهر) عن أرواحها المتناسخة عبر الأزمان، وتتفرع منها مجموعة من القصص الثانوية ما تلبث أن يشتد

عودها وتقوى بكيفيات تجعلها لا تقل أهمية وحضوراً عن القصة الجذرية أو القصة الاطار، لكن المغايرة هنا تتمثل في كيفية الولوج إلى الشريط السردي؛ (فشهرزاد) في نص(حتى يطمئن قلبي) تتغير ثيماتها اللونية وتتوالى من فصل لآخر من خلال مقدمة متغيرة الألوان.. ثابتة الحركات آثر الكاتب أن تتخذها (شهرزاد) كطقس خاص بها في كل مرة تستعد فيها لاستكمال الحكي كالتالي:

"ترتشف شهرزاد القهوة رشفة.. رشفتين وهي ترتدي ثوباً أنيقاً لونه أزرق.. وحذاء أزرق.. تفتح حقيبة يدها.. تخرج منديلاً أزرق يشبه منديل أم كلثوم.. يشع بحكايات حب معطرة تنتشر فتغطي الخليج.. تمسح أطراف شفتيها.. تطويه مرة.. مرتين ثم تحتفظ به في يدها اليسر ي و تخفيه بين النهدين.. تنظر يمينا شمالاً.. أماماً خلفاً ثم تهمس:"

ولقد ساهمت ثيمات (ثوب، حذاء، منديل) شهرزاد اللونية المتغيرة من الأزرق للأسود للأحمر- المنقط - والسماوي، في فتح آفاق التأويل أمام القارىء على تبدل الحالة أو الحدث مع ثبات الشخصية، أيضاً أضفت تلك الثيمات روحاً من المؤانسة، وأزاحت ملل التكرار وخلقت شغف الترقب للحالة التالية التي ستظهر بها شهرزاد، كأن القارىء سيصفح لتوه كتاباً ملوناً بالأحداث، والشخوص، والحالات الإنفعالية، والتشكيلات البصرية.

مازال الكاتب محافظاً على أسلوبه المائز والفريد في (كسر حاجز الايهام) بينه وبين القارىء، والذي استعاره من المسرح، فنجده في البدء يجيب على تساؤل: (لماذا أكتب كل هذا الكم وكيف؟) وكأن القارىء

قد ألقاه على مسامعه تواً!! فمن اللحظة الأولي لبناء النص يستحضر الكاتب قارئيه فيصبحون صناعاً ومشاركين منخرطين معه في خضم هذا الكائن الثائر والمتحور، مترقبين تمامه لمشاهدة وفهم ملامحه بوضوح، ولا ينسى أن يوجه الحديث إلى قارئه من فصل لآخر منبها إياه في مطلع كل فصل تارة بقوله: (عدنا إلى الرواية......)، وأخري بقوله: (ومازلنا....)، وفي الفصل الرابع بقوله: (إذا لم تكن عاشقاً لا تمر عليه وانتقل إلى الخامس..)، وفي بداية الخامس يقول: (عدنا إلى الرواية انتبه معي الآن)، ثم في مستهل السادس يخاطب القارىء من جديد قائلاً: (عدنا بعد الركعتين، نعود إلى حكاية لامار وضوء المكان لتحكي شهرزاد)،(عدنا إلى الرواية فلا تحزنوا ولا تفرحوا ولكن فكروا ماذا بعد....!!).

ومن ملامح التجديد أيضاً في تلك التقنية خلقه نماطاً حركياً خارجياً، مغايراً لأنماط الحركة الداخلية بالنص عن طريق مجموعة من الركعات التي كان يعلن عنها من حين لآخر (كصلاة الغائب) التي تصلى على كل ذي نفع، كعالم أو مجاهد أو غني نفع الناس بماله، ولقد أداها الكاتب هنا على أرواح مجموعة من الشخصيات التي يستحضر المجتمع مواقفها وأقوالها المأثورة من رحم التاريخ إيماناً بقيمتها ودورها وانعكاساً لحاجة تلك المجتمعات إليها الآن مثل: (سعد الدين الشاذلي/ اخناتون/ جلال الدين الرومي/ نزار قباني/ محمود درويش).

ويظل الكاتب يرسل برسائله التنبيهية إلى المتلقي على طول النص وحتى النهاية بتقنية أبعدت عنه شبح الاتهام، وأسقطت قضبان الأسر

المحيطة بأنماطه المينيبية لكونها في رأي بعض النقاد ضالعة في (تغييب الوعي) لد ي القارىء، و أحد أعمدة تشتيته الأساسية.

وفضلاً عن التحديد الدائم، والتحديث المستمرة للزمان والمكان؛ فلقد حرص الكاتب على إضافة بعداً حسياً جديداً يزيد من تعميق الحالة ويرفع منسوب المشاركة النصية ألا وهو بعد (درجة حرارة الجو)، فالكاتب يريد منك أن تتعرق وتشعر بارتفاع حرارة الأحداث، أن تتراسل حواسك مباشرة مع النص، يضعك في بؤرة الشعور ويكمل المحسوس بالملموس. فيهتم بالإجابة على بعض التساؤلات التي ربما تدور بخلدك أثناء القراءة (كم الساعة/ أين نحن/ هل حرارة الجو مرتفعة أم أنا فقط من أشعر بتلك السخونة؟!!) إنه نوع من أنواع الحراك التفاعلي بين الكاتب والمتلقي أضافه (السيد حافظ) إلى قائمة تقنياته النابضة.

- يشير(ماريو بارغاس يوسا) إلى: أن" الكاتب الكبيرمخلوق شره، يضع في جرابه كل ما يصل إليه، ويستعمل جميع الوسائل، يتناول ويُدخل ويعيد تركيب كل أنواع المواد في بناء إبداعه الخاص؛ بحيث يمكن لكل شيء، كل شيء على الاطلاق أن يمارس تأثيرا عليه: كتابا تأمله، أو قراءة بالمصادفة، قصاصة صحفية، إشهارا، جملة ملتقطة من مقهي، استغراق في وجه، في رسم، في صورة ما".
- وهذا بالضبط ما فعله (السيد حافظ) في نص (حتى يطمئن قلبي) حيث امتلك حساً فريداً في ايجاد وإدراك السردي في الأجناس غير السردية (كالتغريدات/ الحكم/ والأمثال الشعبية/ العبارات المسكوكة)، وطعّم النص بمجموعة من (المنمنمات القصصية

القصيرة جداً) التي قامت بوظيفة التو طيءة (وظهرت بمظهر الإبجرامات الأدبية) التي اعتاد كتاب ما بعد الحداثة البدء بها قبل كل فصل من الفصول الروائية.

- واستغل الكاتب ثيمة (رفع الآذان) كمعبر للتعريف بأئمة القراء ومشاهيرهم، فرفعه بصوت الشيخ (محمد رفعت/ محمود المصري/ النقشبندي) لمنح القارىء فسحة ذهنية، ودفقة من الدفقات المعرفة الدينية التي زادت النص إثراءً وفرادة.
- تخيل معي ماذا فعل الكاتب من أجلك أيها القارىء: (جعلك تبدو الآن- في زمن القراءة- داخل بيتك في غرفة المعيشة تحديداً تشاهد محطة تليفزيونية محلية "ربما"، تظهر أمامك على الشاشة قائمة البرامج اليومية على النحو التالي :
- يبدأ البث بالسرد الروائي على لسان (شهرزاد).
- ثم الحوار المسرحي للشخوص.
- يرفع الأذان.
- ومضة "على نمط حلقات المسلسلات".
- يليها برنامج(حكايات قراقوش).
- العودة للرواية من جديد.
- قم لصلاة ركعتين فإن لروحك عليك حق، ثم عد بعد الصلاة وتابع بناظريك المؤقت الدقاق لتعرف (الزمن/ والمكان/ ودرجة الحرارة أيضاً) فربما تحتاج لإحضار غطاء إضافي قبل أن تجلس للمشاهدة)، وهكذا يعاود بث برنامجه الروائي فصلاً تلو الآخر تتغير فيه الأحداث

وتتكاثر الشخصيات وتتشعب معها الحكايا في منظومة تعتمد على التذويب التام (لذات المؤلف).

- التي تترك مهمة طرح الموضوعات على ألسنة الشخصيات وبلهجاتها الخاصة المتسقة مع بيئتها وطبيعتها، دون أن يجد صعوبة أو غضاضة في تحويل ألسنتها من الفصيح إلى العامية، ومن اللهجات الشعبية إلى الإنجليزية مطوعاً جميع المظاهر اللسانية من (صوت/ نغمات/ وضحكات)، ومقلداً لصوت المرأة إذا لزم الأمر كما فعل على لسان (ضوء المكان) حين تسلل متخفياً إلى القصر لرؤية (لامار)، وهكذا انطلقت جميع الألسن وعبّرت بطلاقة من خلال نصه المتأنق بالحوارية البختينية.
- لم يعطل الكاتب (الزمن) عن طريق الوصف فقط بل استعان أحياناً بما أسماه (همسات الروح)، واستخدم أسلوب (النقاط) في اختزال الزمن أو القفز به، قدم وأخر ودفع الحكي للأمام ورجع به للخلف، وجسّده في حالة كينونته ليس عن طريق الضمائر فقط، وإنما بتقنيات (الإضمار/ الاسترجاع/ البناء الدائري) التي عملت على فصل خط الزمن (الكرونولوجي) وخلخلته، والعودة لوصله من جديد. تماهي أيضاً الحاضر مع الماضي وسيرى القارىء تشابها كبيراً بينهما في الأحداث والشخوص، كأن الزمان يعيد نفسه لكن الناس لا تتعلم.

فضاءالعتبة

- شاع في النص واتسع فضاء الصدمات والأزمات والمشاكل،بحيث

صارت الأماكن التي يعيش فيها الأبطال أو التي ينتقلون عبرها هي أماكن موحشة وعدوانية، تثير الاشمئزاز والقلق والغثيان والموت، مهما كانت تلك الأماكن مميزة كقصر الهودج الذي بناه (الآمر لزوجته العالية) على جزيرة الفسطاط والذي كان يتمايل كالموج إلا أنه لم يكن سو ي معبراً للتعاسة لكل من سكنه، وما يمثله قصر الخليفة العاضد الذي إنتقلت إليه (لامار) كسبية من بيئتها البدوية الت ي كانت تحبها. حيث شكل قفصاً للأسر بالنسبة لها ومرتعاً للمؤامرات، (حارة شيحا،حارة برجوان،خيمة عمانويل، البستان، حارة اليهود، دبي.الخ)؛ ففضاء العتبة هو فضاء الكوارث التي تعصف بالإنسان المقهور داخل مجتمع محبط ، تنعدم فيه القيم الأصيلة، وتهيمن عليه العلاقات التشييئية، حيث تتحول القيم المعنوية أو الكيفية إلى قيم مادية واستعمالية قائمة على الغرضية والمنفعة والتبادل.

- ولقد تمظهر هذا النوع في مجموعة من الفضاءات المفتوحة كالممرات الوسيطة التي تفصل الداخل عن الخارج، وترتبط بهذه الفضاءات أزمات خانقة تؤثر سلبا على حياة الأبطال، وتشكل موقفهم الإيديولوجي من العالم، وتحدد مصائرهم في ضوء مصائر الآخرين الذين يعيشون معهم في نفس العالم المحيط بهم.

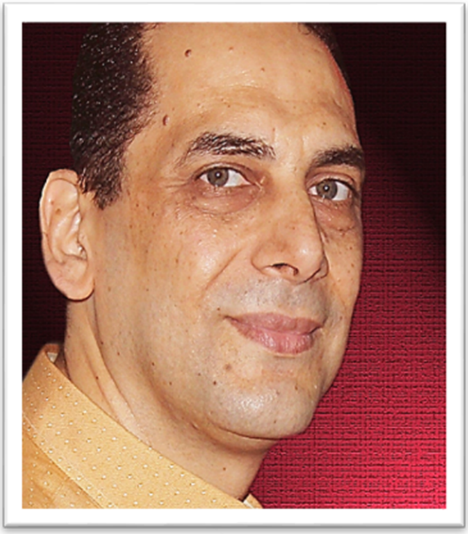
حتى يطمئن قلبى

- ربما يرى البعض أن هذا النص متشظياً، أو مشتتاً للقارىء أو أنه من النوع الذي يصعب الاسترسال فيه، ولكن حتماً ذلك النص

سيجعلك مشحوناً بالأفكار والرؤ ي، وممتلئاً بالمعارف والمعلومات؛ فحتى يطمئن قلب (السيد حافظ) قام بالمراوغة النصية، والثورات الشكلية، ووقف على عتبات التناص (الديني/ والغنائي/ والشعبي)، واستجلب النبوءات من رحم الموروث، والتغريدات من واقع الحاضر،صاح بالحوار وهمس بالسرد، طرح التساؤلات، وأسس المقدمات التي ستصل بك حتماً في النهاية إلى نتائج حقيقية، حتى كلمات النهاية لا تدعك وشأنك بل تمسك بساعدك لتخبرك أن هناك المزيد من الحكايا التي لن تستطيع أن تجزم كيف سيقوم (السيد حافظ) بسردها وأ ي تقنيات أخر ي يمكن أن يجتذبها ويعيد استخدامها في صياغة نصه !! لكنك تعرف حتماً أنه سيفي بوعده في منحك المتعة والمؤانسة، وأن صحبتك مع أحد نصوصه ستكون صحبة داهشة.

أ. إيمان الزيات

١١ ديسمبر ٢٠١٦



الانحرافات السردية و تنوع النسيج الدرامى في رواية "حتى يطمئن قلبى" للسيد حافظ رؤية تحليلية

الأديب / أحمد محمد الشريف

"أنا أكتب إذن أنا موجود ، وحين لا أكتب فأنا مفقود"(١) ، هكذا استهل "السيد حافظ" السطور الأولى في مقدمة روايته الجديدة "حتى يطمئن قلبي" . الذي يؤكد أن الكتابة لديه حلم ومشروع كبير ، فهو يكتب من أجل بناء الوعي و من أجل الوطن.. وكما عهدنا ، فعندما تقرأ لـ"لاالسيد حافظ" ثق أنك تقف في محراب التجريب.. وهو هنا في "حتى يطمئن قلبي" مازال مصرا على الاقتحام و الغور في بحور الرمال الناعمة للتجديد في البنية السردية للرواية العربية ، ويخاطر بأشكال وأطر جديدة لم يألفها القارئ ، مثيرا كثيرا من التساؤلات و الإشكاليات في الطريق نحو الرواية العربية الجديدة.

وهذه الرواية تحمل رقم خمسة في مشروعه الروائي الكبير لملحمة روائية سباعية يعيد فيها قراءة التاريخ و يصحح العديد من المفاهيم و المعلومات و الأفكار الخا طيءة والكاذبة التي ترسبت في أذهان الناس عبر مئات من القرون مضت ، مؤكدا أن عملية تزييف التاريخ هي عملية منظمة تاريخيا منذ قديم الأزل ، حيث يجب علينا بعد كل هذه السنوات تنقيح تراثنا التاريخي من كل أكاذيبه خصوصا بعد انتهاء و انتفاء فكرة أصحاب المصالح و المنتفعين المعاصرين للأحداث من يكتبون أو يحكمون بقضائهم من مئات السنين ، وهذا هو ما حمله على عاتقه و بدأ مشروعه هذا منذ سنوات في تلك السباعية الروائية ، التي تحمل سبعة روايات ، سبق منها روايات "نسكافيه"، "قهوة سادة" ، كابتشينو" ، و"ليالي دبي" ، "كل من عليها خان" ، و أخيرا "حتى يطمئن قلبي" التي نحن بصددها الآن.

لم يلتزم الكاتب بالمسار التقليدي في الرواية ، متجها نحو ما يسمى الرواية الجديدة ، "ولعل أهم ما تتميز به الرواية الجديدة عن التقليدية أنها تثور على كل القواعد ، وتتنكر لكل الأصول ، وترفض كل القيم والجماليات التي كانت سائدة في كتابة الرواية التي أصبحت توصف بالتقليدية ، ولا أي شيء كان متعارفا في الرواية التقليدية متآلفا اغتدى مقبولا في تمثل الروائيين الجدد"(٢)

ومن مميزات الرواية الجديدة أيضا أننا نلاحظ "الانحرافات السردية" المتكررة المتعمدة ، فهناك انتقال من حدث إلى حدث و من مكان إلى آخر و من شخصية إلى ثانية . وهذه الانحرافات المتعمدة تكسر التسلسل الزمني ، بل تفقد الزمن أهم خصائصه (أي التسلسل). وتتداخل الأزمنة وأحيانا تختفي ، وكذا المكان ، وحتى موضوع الرواية لا يتصف بالوحدة أو التحديد . ولغة الرواية ليست واحدة فهناك مستويات متعددة ، وأحيانا نلحظ تمردا على اللغة المألوفة وتراكيبها وقواعدها (٣)

فقد استخدم "السيد حافظ" هنا أسلوب الانحرافات السردية في البناء الروائي ، لتأكيد إصراره على تثبيت هذا الأسلوب كنمط سردي روائي جديد ، وذلك من خلال استخدام عدة أشكال أدبية وفنية لتصميم الهيكل الدرامي للرواية ، وهي السرد الحكائي والوصف التعبيري ، و المناجاة مع أنماط أدبية أخري في الفواصل بين فصول الحكاية الروائية ، مثل القصة القصيرة جدا أو ما تسمى الومضة و كذلك الأبيات الشعرية ، وهي ما سبق أن استخدمه في الرواية السابقة "كل من عليها خان" و يؤكده هنا، و قد أضاف بنوع من التجديد ذلك الشكل الإذاعي ليمزجه

بالفن الروائي، حيث يسمعنا بين الفواصل الآذان حسب التوقيت المحلي بصوت أحد كبار المشايخ، وينتقل بنا إلى برنامج إذاعي يحكي عن حكايات قراقوش وهو تلك الشخصية التاريخية صاحبة الجدل في التاريخ المصري في عهد صلاح الدين وهو هنا أحد أبطال الجزء التاريخي في الرواية.. ثم يلج بنا إلى برنامج إذاعي آخر أسماه "الشعر العالمي" ، يستعرض لنا فيه أبياتا شعرية لكبار الشعراء العالميين ، تحتوي على نسيج شعوري و فكري متجانس و متمازج مع الحدث الدرامي الذي نكون بصدد تناوله ، ثم يعود بنا "السيد حافظ" بعد ذلك إلى أحداث الرواية مجددا.. و قد تكرر هذا النمط عدة مرات على مدار الرواية في معظم الفواصل والتي بلغت حوالي إحدى عشر فاصلا تضمنت ستة فصول للرواية.

فجاءت تلك النقلات المتعددة الأشكال لتعمل على مستويين ، أولاهما كنقاط ارتكاز درامية يتم شحن المتلقي من خلالها نفسيا و دراميا نحو مواصلة التلقي مع زيادة الجرعة الانفعالية المطلوبة للتلقي داخل إطار المشهد لتواصل شحنته الانفعالية حسيا و فكريا ، أما المستوى الثاني فيهدف إلى إراحة ذهن المتلقي من التواصل السردي للحكاية شيئا قليلا كنوع من الاستراحة الذهنية دون أن يفقد تواصله الانفعالي كما ذكرنا سابقا ، كما يهدف هذا النمط الذي يقتحمه "السيد حافظ" و كما استخدمه في روايته السابقة ، إلى تنبيه المتلقي بشكل دائم كل فتره حتى يظل متيقظا مفكرا و ليس عنصرا سلبي التلقي ، لأن المتلقي كما في البريختية يجب أن ينتبه فكريا حتى يكون متحفزا للفعل الإيجابي دائما ،

بغرض التغيير المجتمعي وإثارة الوعي.
لم يتوقف التجريب عند الكاتب عند هذا الحد بل واصل تجربته السابقة في دمج الفن المسرحي مع الفن الروائي ، حيث سرد لنا نصف أجزاء الرواية تقريبا بأسلوب المشهد المسرحي ، حيث أنه قد ذكر تحت عنوان الرواية أنه هذه (مسر رواية) أي أنها نمط جديد يجمع القالبين الروائي و المسرحي في بوتقة واحدة.. لكنه أضاف أيضا إليهما نمط المشهد التليفزيون (السيناريو) و الذي استخدمه في سرد العديد من المشاهد و الذي يبدأ عادة بذكر الزمان و المكان بأسلوب تليفزيوني قائلا (نهار \ داخلي أو ليل\ خارجي) مثلا و هكذا .
أضاف أيضا "السيد حافظ" شيئا من الواقعية تتمثل في ذكر درجة حرارة الجو ودرجة الرطوبة قبل بداية كل مشهد ، حيث أن هذا الأسلوب يشعر المتلقي بتلك البيئة التي يعيش فيها الأبطال مما يزيد من اندماجه في هذا الجو الواقعي للحياة اليومية مع الأبطال ، لاسيما أن تلك الأحداث التي تجري بدبي الدولة الخليجية تتميز بدرجات حرارة عالية جدا ، وتتطلب استعمال المكيفات داخل الجدارن بشكل أساسي ، فأراد السيد حافظ أن نعيش هذا الجو مع أبطاله ، وواصل استخدامه في بعض المشاهد في المرحلة التاريخية خصوصا التي تجري أحداثها بالشارع أو السوق و الأماكن التي يتجمع فيها الناس ، مما يعطي إيحاء واقعيا وتعايشا لمعاناة الشعب في مشاهد مثل محكمة قراقوش و غيرها.
وقد جاءت فكرة استخدام صوت الآذان كنقطة ارتكاز انتقالية ، كفكرة جديدة لم تطرق أيضا من قبل ، لتوحي أو تعبر عن صفاء النفس ،

وعودة لمحاولة هدوء البال لدي المتلقي أو لدى أحد الأبطال أحيانا كاستراحة ذهنية.. و خصوصا أنه كان يُتبع الآذان دائما بمعلومات وفيرة عن المؤذن الشهير الذي يسمعنا الآذان مثل الحصري أو رفعت أو عبد الباسط ، ثم تلك الأدعية سواء أدعية الأنبياء أو أدعية يدعي الكاتب أنها بصوته كي يمتزج معه القارئ في حالة صوفية و استرخاء وجداني ، حيث أن تلاحق الأحداث و كثرتها و تداخلها بين حكايات ثلاث قد يرهق الذهن أثناء القراءة ، مما يتطلب من وجهة نظر الكاتب إلى تلك الاستراحة النفسية و الذهنية . ثم يدخل بنا بعد ذلك بعد كل آذان إلى البرنامج الإذاعي عن قراقوش كي يعد تمهيدا للانطلاق تدريجيا مرة أخرى نحو استكمال السرد و الحكاية الدرامية ، وكذلك سرده لبرنامج الشعر العالمي و برنامج لغتنا الجميلة لفاروق شوشة ، و كما ذكرنا من قبل فإذن تلك الأساليب الإذاعية هي من الجدة و التجريب نحو المزج بين تلك الفنون وبعضها البعض.

نذكر أيضا أن الكاتب كل فترة يتوقف بنا في تغريدة لإحدى الشخصيات، تتضمن وصفا لحالته الانفعالية و الفكرية ، حيث تعمل تلك التغريدات على توطيد الارتباط النفسي بين الشخصية وبين المتلقي ، فالكاتب اقتصر فيها على تلك الشخصيات التي تمثل الجانب السوي أو الخير في أحداثه الدرامية .

أما أسلوب الانتقال عبر القصص القصيرة جدا أو الومضات فهو جاء متميزا يحمل الجديد أيضا نحو دمج جنسين سرديين معا في تجانس و انسجام واحد ، خصوصا أنه برع في كتابة تلك الومضات كل على حدة

، فنجد فيها رغم صغرها و قلة عدد كلماتها إلا أنها فاجأت المتلقي متوهجة كومضة فكرية تحرك الذهن نحو التفكير في مضمونها الذي يعبر عن المعنى المراد من المشهد السابق أو التالي ، وهذا نوع من أنواع إشراك القارئ في التفكير الإيجابي أيضا .

ارتحل بنا الكاتب إلى نمط جديد من الفواصل بين أحداث الرواية حينما يستحضر إحدى الشخصيات التي يجلها و يبجل فكرها و أسلوبها في الحياة أو في المواقف الوطنية أو الإنسانية أو في علو قيمتها و شأنها الفكري و الأدبي و الثقافي مثل اخناتون و محمود درويش و سعد الدين الشاذلي و نزار قباني و جلال الدين الرومي ، فيذكر في كل مرة أنه يصلي ركعتان على روح تلك الشخصية التي يعظمها ، و كأنه يطلب من القارئ أيضا أن يشاركه احترام و توقير تلك الشخصية إعلاء لقيمتها أولا و استحضارا لفكرها و أعمالها التي يتطلبها ذلك الموضع الذي وصل إليه في سرد أحداث الرواية مازجا بين الموقف الدرامي و بين المواقف العظيمة لتلك الشخصية المستحضرة بفكرها وقيمتها. حيث نسجل هذه نقطة جديدة في طريق التجريب الرواية الجديدة.

استخدم المؤلف أيضا الأسلوب التليفزيوني المتبع بين الفواصل في البرامج و المسلسلات على الشاشات ، حينما يعود بقلمه إلى سرد أحداثه حيث يقول منبها القارئ قبل الدخول في الفصل الجديد من الرواية: (عدنا إلى الرواية) حيث يعمل هذا الأسلوب المقتبس من الشاشات إلى تنظيم تفكير القارئ ، حتى لا يتشتت بين الانحرافات السردية التي اتبعها الكاتب ، فيتمكن من الاستمرار و التواصل بذهن متيقظ ومفكر ومفسر

دائما في طريقه نحو صحوة الوعي الفكري ، بل وزاد عليه "السيد حافظ" إضافة بسيطة أحيانا بالتعليق ككاتب ببعض الجمل و كأنه ينبه القارئ إلى وجوده كعامل مشترك بينه وبين صفحات الكتاب المقروء ، و كأنه يقول له نحن هنا معا نقرأ معا و نفكر سويا ، فإشراك المتلقي هنا هو نوع من الجدة التي يهدف إليها المؤلف بقوة حتى يصل إلى أن يكون المتلقي إيجابيا.

أما على المستويين الزمني و المكاني ، فبطبيعة التنقل بين ثلاثة حكايات درامية بين العصر الحديث في دبي و العصر التاريخي بين حكي "هوى" عن ما حدث مع "العالية" و شاور و بين الحكاية الثالثة لـ"لامار" مع قراقوش و "عثمان" ، فقد سارت جميعها بشكل متواز من خلال وثبات زمنية و مكانية بين الأحداث الثلاث ، مما أعطى للرواية ككل صفة الامتداد الزمني و الامتداد المكاني ، و هو ما يتطلب حرفية عالية أتقنها بالفعل المؤلف في جميع مواضعها دون أن يؤثر ذلك سلبيا على تواصل المتلقي أو يشتته أثناء القراءة.

يعرف "فان ديك" السرد بأنه : وصف أفعال ، يلتمس فيه لكل موصوف فاعلا و قصدا وحالة وعالما ممكنا و تبدلا و غاية ، فضلا عن الحالات الذهنية والشعورية و الظروف المتصلة بها. (٤) وقد اعتمد الكاتب "السيد حافظ" في كثير من مواضع السرد في الرواية على اللغة الشعرية ، كما اعتاد دائما في كل كتاباته المسرحية و القصصية و الروائية ، فتركيب الجملة عنده يبتعد عن المباشرة ، ولغة الكتابة لابد أن يكون لها مذاقها ومدلولاتها ، فعندما تتحدث في الأدب لابد أن تتحدث برقى و بلغة

خاصة ، لا بد أن تجعل القارئ يتذوق و يحس و يفكر ، حتى تؤدي به إلى المتعة الحسية و الجمالية والتحريك الذهني المؤدي للتغيير و الإيجابية في الفعل ، من منطلق حتى نقرأ لابد أن نرتقي .

أما على مستوى الحدث الدرامي ، سرد لنا "السيد حافظ" ثلاث حكايات درامية سارت جميعها في مسارات متوازية حتى النهاية ، في تداخل سيمفوني في النسيج بينها و بين بعضها البعض ، حيث مزج بينهم بحرفية عالية و خبرة تحسب له ككاتب ، متنقلا بين أحداث كل منهم في سلاسة وتشويق خاص بها ، مبرزا عناصر التلاقي و التواصل و الدلالات الدرامية و الفكرية المنشودة من صنع هذا المزيج السردي ، و هم : قصة عشق "فتحي" و"سهر" ، ثم قصة "العالية" و"شاور" ثم قصة"لامار" الروح الخامسة لسهر و التي كانت في عهد قراقوش ، حيث قصد الكاتب من حكايته إلى الإسقاط السياسي على العهد الحديث و العصر الحالي من خلال استلهام التراث وحكاياته ، لدق ناقوس خطر تفشي الظلم في الأوطان من قبل الحكام. فكما يقول د. عبد الملك مرتاض في كتابه نظرية الرواية في البحث في تقنيات السرد: إن الروائي لا يكتب تاريخا و ما ينبغي له ، و إنما تراه يلحم جهده شيئا يحمل له طابع التاريخية الروائية ، ذلك بأن الإبداع الروائي إنما ينهض على فكرة من التاريخ ، بشيء باد من الضرورة ، و يتمثل حتما مظهرا من مظاهر البناء الذي بمقتضاه نستطيع قراءة ما يحدث للكائنات والأشياء والأفكار، و لاسيما ما يحدث لرواية و هو بصدد تدبيج عمل سردي خيالي(٥)

وقد بدأ الكاتب بحكاية العشق بين "فتحي" و "سهر" في دبي ، حيث

أن كل منهما متزوج من آخر ، و لم يتورعا عن ممارسة الحب المحرم، حتى فوجئت "سهر" بحملها الذي لم تدرك هل هو من زوجها أم من علاقتها المحرمة بـ"فتحي" ، و تتشابك تلك الأحداث بقدوم "كاظم" حبيبها السابق من لبنان ليستقر مع زوجته في دبي ، لتتعقد الأمور وتزيد الشجون والأحزان ، ومن خلال كل هذا ينطلق بنا الكاتب عن طريق حكايات "شهر زاد" صديقة "سهر" و التي ترفض علاقتها الغير شرعية بـ"فتحي" لدرجة أنها صفعته على وجهه عندما علمت بحمل سهر لجنين في بطنها ، فتجلس "شهر زاد" لتحكي لـ"سهر" الحكاية التاريخية التي تضمنها الرواية ، وهي حكاية "لامار" والتي تقول عنها "شهر زاد" أنها الروح الخامسة لـ"سهر" ، حيث قد انطلقت تلك الفكرة في الرواية الأولى من السباعية و هي رواية "قهوة سادة" من خلال أسطورة في معتقد طائفة "الدروز" ببلاد الشام تؤمن بأن "الإنسان تنتقل روحه إلى غيره، وهذا ما يدعى بالتقمص.. هناك شعوب يؤمنون بها بشكل كلى.. ونحن نؤمن بالتقمص في الحياة السابقة حتى المتقمص.. ليتعرف على أقربائه السابقين. فقد يكون عمر الطفل ٥ سنوات يتعرف على ابنه الكبير من الحياة.. ويقال إن المتقمص لا يغير جنسه فالرجل يبقى رجلا وكذلك المرأة تبقى امرأة، وإذا كان الرجل سيئا تنتقل روحه إلى امرأة وتظل امرأة عقابا له.".(٦).. فتبدأ "شهر زاد" بحكاياتها عن "لامار" و "قراقوش" حاكم مصر في عهد "صلاح الدين الأيوبي" ، حيث يركز الكاتب على فكرة تفشي الظلم و عدم إقامة العدل في البلاد بالإضافة لتصحيح بعض المعلومات التاريخية عن "صلاح

الدين الأيوبي" كحاكم للمسلمين وقاهر الصليبين ومحرر المسجد الأقصى ، و تتداخل مع هذه الحكاية حكاية "العالية" و "شاور" الحاكم الظالم الذي حرق القاهرة و المصريين ، حيث يريد الكاتب إسقاط التاريخ على الواقع منبها و محذرا من تكرار التاريخ لنفسه.. وبالطبع فمناقشة المضمون تتطلب مناقشة وافية كل هذا بالإضافة لكثير من الحديث و التحليل عن السرد و عن لغة الكتابة واللغة الشعرية و تحليل الشخصيات و تحليل الزمان و المكان في الرواية ، حيث قد يكون لكل من هذه الأمور مقام آخر .

لكننا في النهاية لا ننكر أننا أمام اقتحام نحو تجريب جديد و جرأة وشجاعة للكاتب "السيد حافظ" في خطوات محسوبة و مدروسة نحو التجديد في السرد الروائي . فكما يذكر "سيد قطب" في كتابه النقد الأدبي أن الأديب الكبير رائد من رواد البشرية يسبق خطاها و لكنه ينير لها الطريق فلا تنقطع بينه و بينها الطريق ، و هو رسول من رسل الحياة إلى الآخرين الذين لم يمنحوا حق الاتصال.(٧)

و كما معروف فإن التجريب لا يمكن الحكم عليه و هو مازال في أطواره الأولى و لكن الحكم بنجاح أو فشل التجربة يتم باستمرارية و تكرار النمط الجديد حتى يصير مألوفا فيحسب للكاتب الريادة و الابتكار ، أو أنه يخبو و يندثر على مر الحقب من تلقاء نفسه ، وحينها أيضا لا يمكن الحكم عليه بالفشل لكن يحسب له شرف المحاولة و اختصاصه بأسلوب متفرد خاص به لم يقتحم غيره و لم يقلده أحد.

المراجع

١- حتى يطمئن قلبي ، الرواية ، ص١ .
٢- في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، د.عبد الملك مرتاض ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد٢٤٠ . ص٤٨
٣- أنماط الرواية العربية الجديدة ، د. شكري عزيز ماضي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٥٥ ، ص١٥
٤- موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص١٧
٥- في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، د. عبد الملك مرتاض ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد٢٤٠ . ص٣٢.
٦- قهوة سادة ، رواية ، "السيد حافظ" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢١٢ ، ص٢٠٥.
٧- النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق ، ص٣١.

الأديب/ أحمد محمد الشريف – القاهرة

إشكالية الحب فى رواية
" حتى يطمئن قلبى " للكتاب السيد حافظ
بقلم أ. سحر الجابري

كيف يولد الإنسان ؟ وماهي العوامل التي تعمل على صقل ذاته ؟
يولد الإنسان بوجهين وجه مالك ووجه شيطان ، ليطفو احد الوجوه على شخصيته حسب الظروف والمكان والبيئة ..نولد بنور من هللا طهور وتتلى في اذاننا ايات هللا تزيد ارواحنا طهرا .. ليحلنا المجتمع الى شخصيات التشبه ذواتنا ربما ، فنحن بشر ولسنا مالئكة نؤثر ونتأثر بما حولنا محكومون بالظرف الذي يحيط بنا والمجتمع والبيئة وكل هذه المؤثرات هي التي تؤطر ذواتنا بالفضيلة او الرذيلة.. فالبد من حل اشكالية سؤال الحافظ)هل للحب دين (البد لنا من دراسة اشكالية الشخصيات وتحليلها كال حسب دوافعه لتطمئن قلوبنا .. انا شخصيا ارى ان الحب ُتخلع عنه عباءة الطُهر وتنتفي عنه صفة القدسية اذا وظف من اجل الوصول الى غاية ما او ارتبط بالغواية والشهوه الجسدية محوال الحب الى رذيله ولكي نسمو بما للحب من قدسية البد من توضيح االسباب والعوامل التي تدفع الى الغواية
يدخلنا االستاذ حافظ في (مسراويته) والتي تحدث عنها في البداية بأنها بين الرواية والمسرح . يدخلنا الى عوالم التأريخ مازجاً بين الماضي والحاضر وهذا المختلف السائد الذي يتصف به الحافظ .. مع انه ليس بكاتب للتأريخ وكاتب التاريخ يختلف عن كاتب الرواية غير ان الحافظ استطاع ان يرسم من هذا التمازج بين الماضي والحاضر لوحة فنية جديدة كما عودنا ، وكما الوحة تحتمل عدة صور ، كذالك الحافظ بفنه الروائي يأخذنا في رحلة فنية متعددة الصور ينظر اليها القارئ ويقرأها

على شاكلته ، ماشد انتباهي في المسراوية هي العالقات ووضع عالمة سؤال امام كل عالقة ووجه الحب فيها ..وكلما توصلت الى جواب انطلق منه الى سؤال يستدعي له جوابا وبحث لحل اشكاليته .. ماهو الوجه اآلخر للحب؟ وماهي الغواية فيه ؟ ومن وراءأستباحة عفته ؟ ربما هو االنفتاح والعولمة ، أو الحداثة هي التي لوثت فطرتنا وهدمت القيم فينا ونقضت روح الفطره بدواخلنا وربما يكون الجشع وحب المال او ربما يكون الوطن عندما يقصي ابناءه قسرا ليجدوا في احضان من يحبون مالذا وملجأ كما يحدث) لفتحي رضوان (ولو ان من الصعب ان تستعيض عن الوطن بشخص واحد ..هذا غير وذاك غير .. كل هذه قضايا فكرية واجتماعية تحتاج الى تفكير وتامل وايجاد حلول يربطنا الحافظ بالعالقات بين ارواح سهر الخمسة ..المار) بريق الذهب (روح سهر الخامسة قصة تشبهها كثيرا تسردها شهرزاد .. على سهر المار أبنة السبعة عشر ربيعا التي كلما سارت في االزقة او الشارع يبعث نهداها في قلوب الرجال اشارات كهرومغناطيسيه بفرح .. هي تعرف ان هللا جميل واحيانا يمنح انثى من روحه ومن وجهه القاً ص34 يلتقيها ضوء المكان الذي يدنس روحها بشهوته وغوايته سامحيني عندما أرى أمرأة جميلة يركبني الشيطان أهجم عليها وأخطفها والزم انام معاها .. سامحيني انا نذل وجبان ومجرم انا حيوان وغير ادمي ص290 الغواية من فعل الشيطان وكل مايتبعها من شهوة حيوانية ، ليتصف كل من تبعها بالنذالة العالية وابن عمها ابن مياح تكاد تكون عالقتهما رمزا للعفة والطهارة تولد العالقة في الصحراء وتحت ضوء الشمس واالتصال

بروح هللا بدون أبنية شاهقة أوعمارات تحجب ضوء نوره . ونور هللا يعني الهداية ، الطبيعة المحض الخالية من اوبئة الحضاره المزينة بالوان مزيفة ، والبيئة الصحراوية بطبيعتها تجعل الإنسان يفكر في الذات قبل الرغبة ليثبت لنا الحافظ هنا ان الحب ينبوع طهور عذب وهبنا هللا اياه ليعطي للحياة معنى لكنه يدنس بفعل الغواية بكر يناجي العالية اخته بعد ان اختطفها اآلمر بأحكام هللا وسجنها في قصرها العائم على صفحة ماء كالهودج ، تعيش معه جسدا خاليا من كل روح يخاطبها بكر فيقول : (انظري ياعالية هذا صقر يطير ، هذا ارنب بري ، هذا حمل ضال ، فرس يجري في البرية) عالقة سهر في حاضر الرواية ، بفتحي عالقة متخطية كل االعراف والتقاليد) عادي ان نهزم عادي ان نقهر عادي ان نخون او نهون او نكون او النكون ياسهر العشق اليعرف الأصول والحدود والقانون واليعرف المسافات وال الخطر وال الحذر (فتحي هنا على الرغم من عمق عشقه الروحي فانه يتسم بالغواية وحب الشهوه والرغبة في جسد وجمال سهر) ذهبنا الى الفندق .. حجزنا غرفة.. كانت قطعة آيس كريم ساخنه .. دخلنا الحمام وتحت الدش كنا سويا .. للقبالت تحت الماء طعم اخر .. اتصلت بغرفة الخدمات اثنين قهوة سادة أشعلنا سيجارتين .. الصمت سيد اللحظة ص١٧١ هنا يسمى حب شهوه وغواية وقضاء الوطر) الشهوه الجسدية (كما صنفه ابن حزم اذ قال الحب انواع) حب في هللا ، وحب القرابة ، وحب اآللفة ، وحب التصاحب والمعرفة والمتحابين لسر يجمعهما ....الخ كلها تنتهي وتزول بزوال المسبب حتى يصل الى العشق وهذا ينتهي بموت صاحبه

(رغم هذا العمق واالنغراس في حب الشهوة نجد فتحي يجلد ذاته بذاته بعد كل غواية)دعيني اشربك كزهرة الجنزبيل والكركديه واستغفر هللا واتوب عن العشق الحرام واسكن في عينيك اسبح لجمال خالق الكون الذي خلقك شجرة من نور) همسه لسهر ص١٧١

فتحي الرجل المتشضي الذي يهرب من الوطن، اليه ، يعذبه شئ اسمه حب الوطن مع ان الوطن يقصيه يهيم في بالد العرب باحثا عن ذاته وهويته التي سحقها الوطن ليجد كل هذا في حضن سهر الجميلة وغوايتها)واسمع ضحكتك وانت طفلة وكبرتِ وأصبحت مهره وتحولتِ نمرة جميلة وجمالك يصرخ في وجه الرجال وانت تناغين بضحكتك يقول الناس ان بيتك مسكون بقلوب العاشقين وهم اليدرون ان الشيطان العشق ايضا مفتون بك ...أنك أمراة تشبهين تواطؤ العشق وكارثة الشهوه التي تطيح بظالم القلوب (همسة شهرزاد لسهر ص ٥٤٥

في مكالمة من فتحي لسهر

أنت مثل الوطن يتهمني دائما بالتقصير -

كل ما بحكي معك تحكي لي عن الوطن شو بك ؟ ص ٢٩٦

لماذا انا في دبي ؟ لماذا تركت مصر ؟ ص٣٢٨

كل هذه الانقسامات والتساؤلات تثبت لنا أن فتحي باحثًا عن وطن في حضن سهر.

يقول الصوفي وسلطان العارفين وزعيم المولوية جالل الدين الرومي كل االشياء ُتصبح أوضح حين تفسر ... غير ان هذا العشق يكون اوضح حين التكون له أي تفسيرات قاصدا بهذا الحب في هلا في رواية الحافظ

هناك الكثير من الرمزيات والمقارنات بين انواع الحب والتي نستدل من خاللها ان الحب والتعلق كذالك يكون; في المكان وليس للشخوص فقط ، عندما تذهب سنية الى قصر ألمر باحكام هللا وتاخذ زوجها احمد ،; يتغير عليه المكان ويستوحش طريقة العيش فيه ويصف القصور كالقبور بل اشد وحشة ، وخطاب بكر ألخته العالية كذالك بعد ان امتلكو المال واالبل يتوسلها العوده وان كوب شاي وقطعة خبز وخيمة وعودتها تغنيه اكثر من كل مال الدنيا .. كل هذه صور الحب التي ياخذنا الحافظ الى عوالمها واكثر يسرده علينا الحافظ في اسلوب جديد وبعيد عن نمطية الرواية العادية .. الفواصل ، الهمسات ، الدخول الى عمق التاريخ ، ومن ثم العوده الى ليالي دبي، شهرزاد ورمزية اسمها المرتبط بقصص الف ليلة وليلة ، ومنديلها حين تفرده يمأل سماء دبي عطره كتابة تاريخ الزمان والمكان ودرجة الحرارة والرطوبة في فواصل دبي يضع القارئ في جو الرواية وكأنه معهم كل هذه المستجدات في طريقة كتابة الرواية يجعلنا الحافظ نخرج من الملل ونمطية الكتابة ورتابتها وهذا هو اسلوبه دائما في الكتابة رواية بهذا الكم الهائل من الأحداث والرمزيات يصعب علينا دراسة أشكاليتها وتفسيرها واختصارها في أسطر قليلة ، فالبد لنا من وقفة طويلة متأملين وهذا ربما في الروايات القادمة من سباعيته.

أ. سحر الجابري



الأنثى والثورة فى الرواية
في أعمال السيد حافظ
ثورة التصحيح في حتى يطمئن قلبى
بقلم: أ. بسنت حسين

ثورة التصحيح في حتى يطمئن قلبى

في الجزء الخامس من سباعية الأديب الكبير السيد حافظ نجد أنفسنا أمام ملحمة أدبية يصعب عليّ تصنيفها ضمن قالب أدبي وإن كان الأديب قد أطلق عليها مس رواية أو سردية متمردة لكنها أكبر وأعمق من حصرها في إطار أدبي.

"التاريخ يكتبه المنتصرون" هكذا قال ونتسون تشرشل، لكن قليل من يبحث فيه ويتعمق ليصل للحقيقة والتي في الغالب غير معلنة، في هذه الملحمة "حتى يطمئن قلبي" أتخذ أديبنا الكبير السيد حافظ من قلمه منبر إعلامي ليصحح أغلب ما زيفه المنتصرون، فنجد أنفسنا أمام ثورة أدبية أشبه بثورة تصحيح للتاريخ المغلوط ولإكمال المنقوص في الفترات التاريخية المتباينة لمصر والعالم العربي إبان نهاية العصر الفاطمي والعصر المملوكي والعصر الحديث.

وقد استخدم أديبنا الكبير| السيد حافظ كافة أدواته ككاتب لإنشاء منبر إعلامي متكامل يوجه منه خلاله قلمه لرد هجمات تزييف التاريخ. فمن خلال لغة سلسة تنوع السرد ما بين السرد الروائي والمسرحي والسيناريو والقصص القصيرة جدًا والشعر، أطلق عدد منه البرامج للحكي عن الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني في مصر خلال الثلاث أزمنة المذكورة.

لم تكن وحدها البرامج الأساسية هى المعنية بالتصحيح بل الفواصل أيضًا ذات دلالات قوية، فنجد في الأدعية والركعات قد خصصها لكلًا من:

سعد الدين الشاذلي البطل العسكري الذي لم يوفَ حقه واخناتون الحاكم الذي أهتم بتوحيد الدين في مصر القديمة ليعصم المصريين الفتنة الطائفية بينما فشل صلاح الدين الأيوبي أثناء محاربته للمذهب الشيعي.
كما ذكر جلال الدين الرومي الفيلسوف المتصوّف وهنا إشارة قوية لكل صاحب رأي في كل زمان ومكان، كما أشار في روايته لمقتل السهروردي من خلال حديث سهر وشهرزاد وحديث الخاتون وصلاح الدين من ص٢٦٦ إلى ص٢٧٧.
وقد ذكر الشاعرين نزار قباني ومحمود درويش أصحاب الجرأة في طرح المواضيع سواء الرومانسية أو السياسية وقد توازى ذكرهم مع الشاعر طراد بن المهلهل في عهد الآمر بأحكام الله والعالية. فنجد أن قتل أصحاب الأقلام والرؤى هو أمر متكرر مهما اختلفت العصور والحكام، فلكي نزيّف التاريخ لابد من قتل كاتبيه ولكي يستبد الحاكم يهدم كافة الرموز الفكرية والأثرية، فهدم ٣٦ هرم لبناء قلعة صلاح الدين تخليدًا لاسمه أوقع دليل.
كما تطرق كاتبنا للظلم الواقع على الشعب المصري من خلال الحكام والقضاة الطغاة ضمن متن الحكايات الثلاثة وضمن الفواصل الإذاعية من خلال برنامج حكم قراقوش والذي سرد عدد من المواقف لأحكام ظالمة في إطار تفشي الظلم وتزييف التاريخ.
ونجد الفواصل برفع الآذان بأصوات عدد من المشايخ أمثال: محمد رفعت، عبد الباسط عبد الصمد، محمود خليل الحصري والنقشبندي لجذب القارئ "المتدين بطبعه".

وبهذا يكون السيد حافظ قد استخدم الأداة ذاتها التي يستخدمها جبابرة الحكام لتزييف التاريخ وهى الإعلام.

فعلى مستوى اللغة قد وظفها كاتبنا في مواضعها تمامًا فقدم كل قالب أدبي بحرفية تامة ومناسب لموضعه في الرواية، أما الشخصيات فقد تنوعت بتنوع الأزمنة:

العصر الفاطمي: حكايات الآمر بأحكام الله والعالية ووزيره المأمون.

العصر الأيوبي: صلاح الدين الأيوبي، الخانتون، قراقوش وهوى ولامار وعثمان.

العصر الحالي: "شخوص السبياعية" فتحي رضوان، سهر وتهاني ونقذ وكظم ووردة وشهرزاد وحامد الصقر.

وقد أخذت كلًا من شهرزاد وهوى عاتق الحكي في كلًا من الزمن الحالي والعصر الأيوبي فحكاية الآمر بأحكام الله والعالية وحبه لها وصراعاته من أجلها وإسناده للحكم إلى وزيره المأمون كما فعل صلاح الدين مع وزيره قراقوش.

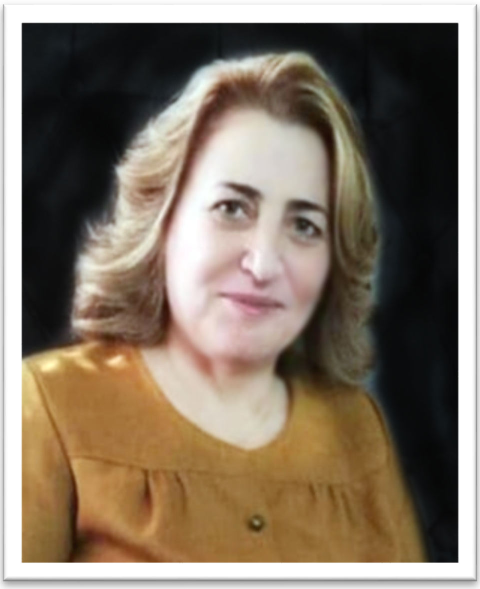
كما تروي شهرزاد كل القصص لامار وهوى إلى سهر. فبطل الحكي والسرد هنا هما شهرزاد راوية كل الحكايات ووى في هذا الجزء.

المكان: مصر حيث الشعب ذي التاريخ المثقوب

الحبكة: قد تناغمت الأحداث لتصنع مزيج أشبه بالضفيرة في حبكته، فمع تصاعد الأحداث في قصر الخليفة العاضد وهروب هوى ولامار قد رويت قصة العالية وبناء قصر الهودج كهدية من الآمر بأحكام الله لها، تطورت قصة لامار بين ضوء المكان وعثمان وقصة صود عثمان لينال

منصب قضائي إبان حكم قراقوش وكم المعاناة التي تلقاها الشعب المصري، أما على المستوى العام للسباعية فقد تعقدت العلاقة بين فتحي رضوان وعشيقته سهر بعد حملها وعدم تأكدها من والد الجنين ومعرفة زوجها بخيانتها له وكذلك الحال مع تهاني التي تأكدت من خيانه زوجها بالتزامن مع حملها.

رغم ذاكرة الشعب المثقوبة فقد فضح كاتبنا عن المسكوت عنه في فترات الحكم المختلفة في مصر ليتحقق العنوان "حتى يطمئن قلبي" والعنوان البديل "لكن ليطمئن قلبي" وتصبح ملحمته الأدبية أشبه بثورة تصحيح ومحط تأريخ مهم في ثغرات من تاريخ مصر الشامخة.



رواية "لكى يطمئن قلبى "
للكاتب الكبير السيد حافظ
بقلم أ. فاديا سلوم

لست كاتبة ولست ناقدة
سأكتب فقط ما قرأته بين السطور ....
هذا لا يعني أنني لا أحب النقد تمنيت يوماً لو أنني درست النقد أكاديميا.
يقول البرت هوبارد ((لكي تتجنب النقد لا تعمل شيئا , ولا تقل شيئاً , ولا تكن شيئاً))
لولا وجود الإبداع لما كان النقد .
أراه فناً راقياً وخاصة إذا كان بعيداً عن الشللية والمحاباة لهذا يعد عملة نادرة لصعوبة التعامل به بمصداقية وشفافية .
يقول الناقد والباحث في علم الطاقة إبراهيم الفقي ((إذا هاجمك الناس وأنت على حق أو أزعجوك بالنقد فافرح ,إنهم يقولون لك إنك ناجح ومؤثر .))
أمسكت جهاز الهاتف إذ أرسلت لي الرواية عبر النت برابط لعين لم يكن أمامي سوى أن أصنع المتعة لنفسي من خلال التصفح عبر الشاشة حيث تخيلت أنني أتصفح الورق وأقلب الصفحة تلو الأخرى فإذا لم نستخدم الخيال فإننا في عداد الأموات .
عندما أبدأ برواية ما , أعرف أنني سأعيش خارج محيطي فترة زمنية تطول وتقصر حسب الزمن الذي يحدده لي الكاتب ويمكن أن أهرب عائدة إلى واقعي فورا .
تكمن عبقرية الكاتب عندما يجعلنا أحد شخصياته ويحركنا ويحرك مشاعرنا تماما كما شخصياته فنضحك نمشي.. نتنقل.. نكره .. نعشق....
هنا في ((كي يطمئن قلبي)) كانت القفزات سريعة وأكثر مما توقعت

جعلتني أخلع أردية وأرتدي أخرى من خلال التحرك من القديم إلى الحديث فشخصيات الرواية جمعهم المكان وفرقهم الزمن .

وجدت في الرواية أسلوباً جديداً في كل شيء طريقة العرض المسرحي والسرد القصصي وكأننا بالكاتب يريد الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور .

ولكن في رد للكاتب السيد حافظ على سؤال له : لماذا اتجهت في السنوات الأخيرة إلى كتابة الرواية ؟

((اتجهت إلى كتابة الرواية يأساً من الكتابة للمسرح . لأن المسرح يشهد حالة من الركود .. المسرح العربي قد مات .. نقيم مهرجانات عربية لبث أوكسجين في جثة المسرح بلا جدوى , كذلك المسرحيون أنفسهم اتجهوا للمسرح الكوميدي , الرواية بالنسبة إلي مشروع تصحيح للتاريخ العربي .. الرواية هي تاريخ للسيرة الذاتية وكذلك هي الفن المتنوع الذي يحتوي على كل الفنون البصرية والفنية .))

وتضمنت الرواية أكثر من مسرب فهي اجتماعية سياسية نقدية للمجتمع الفاسد أراها دعوة للنهضة العربية من جديد من خلال طرح قضايا حساسة مثل قضية الطوائف الدينية المتناحرة هذه القضية التي ولدت الحروب في كافة مناطق الوطن العربي وكلما خمدت جذوتها لا تحتاج إلا إلى فتيل خارجي وربما داخلي مما أدى إلى تخلف جيل الشباب وفقدهم الثقة بأنفسهم وببلدانهم . فجعلهم ينزحون أو يهاجرون تاركين البلاد بأيادٍ خائنة أو عرضة للاستعمار ليعيشوا في بلاد إما عربية وهي بلاد النفط كما رأينا فتحي الذي ترك مصر ليعمل في دبي بلد النفط أو في بلاد

غريبة عن معتقداتهم وعاداتهم ليتصارعوا مع أبنائهم من الجيل الذي نشأ هناك وضاع بين الجهتين ...

وتفرغ البلاد من العقول الشابة والمميزة بسبب الإهمال ففي البلاد العربية لا كرامة لمواطن مهما علا شأنه فهذا الآمر بأحكام الله يطلب من قائد جيوشه أن يدخل له الجواري والغواني ليحيي سهرته فنجده يحول أكبر شخصية في البلاد إلى قواد ينظم له سهرات المرح بينما قائد الجيوش جاء ليخبره بأحوال البلاد ليقول له ((الدولة تسير نفسها بنفسه))

فهو مشغول بأموره الشخصية ويسمح أن يشاركه الشرب واللهو أشخاص من عامة الشعب هو الحاكم الظالم ((في الكأس يلتقي الكبار والصغار))

وضع الكاتب إصبعه على الجرح النازف للوطن المكلوم دائما وأبدا كما جاء في الومضة التالية : ((انتهيت من كتابة رسالة إلى الوطن ووضعتها في ظرف وأمسكت القلم لأكتب العنوان فلم أتذكره , فوضعت الخطاب في سلة المهملات ...السيد حافظ))

هذا خطاب لنا جميعاً !!

وشخصية فتحي الصحفي المبدع الذي لم يجد فرصته في بلاده فسافر إلى بلد النفط ويحاول السفر إلى العراق مع تخوفه مما يحدث هناك فالمواطن العربي لا يشعر بالأمن والأمان في أي بلد عربي لهذا يحلم بالهجرة إلى البلاد الأجنبية .

أعود إلى هذا التنوع في تقديم الأفكار والفقرات وهذا الخليط الكتابي

الذي يذهب الملل عن نفس القارئ وكأنني أشاهد على الشاشة الصغيرة برنامجا منوعاً فمن الكوميديان إلى الإعلانات إلى فقرات دينية وفواصل مسلية وابجرامات أدبية من ومضات وشذرات إلى رفع الآذان في أوقاتها وتبيان درجة حرارة الجو بشكل سيليزي دقيق كل هذا محاولة ناجحة لوضعنا في نفس الحالة التي يعيشها أبطال الرواية حتى شعرنا بالبرودة في أماكن وشعرنا بحرارة الجو في أماكن أخرى .

أما أدوات الكاتب من حوارات باختينية والكرونولوجي والعلاقات التشيئية واستحضاره لشخصيات كان لها الأثر الكبير في الفكر العربي والعالمي مثل جيفارا ..نزار قباني .. سعد الدين الشاذلي وغيرهم

هذه الأدوات كلها خدمته في التعبير عما يريد إيصاله لنا كقراء ..

لفتني في الرواية مضامين عدة :

- الإشارة إلى تزييف التاريخ شخصية صلاح الدين
- التمرد على أشكال الكتابة التقليدية
- اشكالية تغييب المسرح في الوطن العربي
- الانتقال عبر الزمكان والتداخل القصصي بين القديم والمعاصر
- المرأة ووجودها في حياة الرجل فهي العنصر الهام سواء كان حاكماً أم متشردا وهي برأيه تحكم من خلف الستار رغم معاملتها كجارية فهي سبب معظم المشاكل التي بالنهاية تجد الحلول لها فهي لا توجهها شهواتها وغريزتها .
- الطائفية التي تفرق بين المحبين هذه القضية الكبيرة والخطيرة والتي أدت في بعض الأحيان إلى ارتكاب الجرائم للتستر على

الفضيحة طرحها الكاتب في روايته بأسلوب شعرنا أن الأمر بسيط جدا رغم ما تحتله هذه القضية من أهمية في المجتمع وخاصة المتعدد الطوائف مثل سوريا ولبنان والعراق فحب سهر المرأة السورية من الطائف الدرزية لفتحي المصري السني والتي استنكرته وبشدة صديقتها فهذا الحب يعد جريمة لأنه خارج التأطير الديني .

- معتقد التقمص وشخصيات سهر من خلال خمس حيوات لها : نفرتيتي في عهد أخناتون .. نور التي تعشق الضابط محب .. شمس والحاكم بأمر الله .. وجد والنيروزي .. ولامار وضوء المكان وأخيرا سهر وعشيقها فتحي

هذا المعتقد رغم نفيه من البعض مازال سر حيَّر حتى العلماء فهناك قصص وحوادث أكدت تناسخ الأرواح , لولا الجهات التكفيرية في مجتمعنا المتزمت لظهر من يدرس ويحلل هذا المعتقد كما فعل أستاذ الطب النفسي في كلية الطب بجامعة فرجينيا إيان ستيفنسون حيث جعل التقمص حالة علمية جديرة بالدراسة بعد أن كانت من الموروث الثيولوجي .

وفي الختام دائما أسأل نفسي بعد الانتهاء من قراءة كل رواية ما الدافع الذي جعل الكاتب يكتب هذه الرواية؟ ما الهدف الذي يريده ؟ ما الظرف الذي كان يعيشه ؟

كل رواية هي حياة نعيش ضمن سطورها وتترك أثرا مختلفا من قارئ لآخر ..

هذه الرواية من الروايات التي تركت أثرا في نفسي أحببتها بكل تفاصيلها.

الرواية مرجعا أدبياً وتاريخياً , يجب أن نسجل للروائي الكبير السيد حافظ أنه أدهشنا بهذه الوقائع التي ثقبت ذاكرتنا وأعادتنا إلى تاريخ كدنا أن ننساه.

أ. فاديا سلوم

السيرة الذاتية

- فاديا سلوم
- مواليد دمشق سوريا
- حاصلة على معهد إعداد المعلمين
- مارست التعليم حتى عام ٢٠١٥
- أكتب القصص القصيرة والخواطر
- أكتب قصائد الهايكو والهايبون
- لي عدة دواوين الكترونية في قصائد الهايكو من نادي الهايكو العربي
- وديوان ورقي مشترك مع شاعرة جزائرية أيضا قصائد هايكو (نزيف الورد)
- شاركت بعدة كتب جماعية منها كتاب المرأة الإلهية لعام ٢٠١٩
- صليل الحروف من إصدار دار ديوان العرب للنشر والتوزيع .



المعايير الجديدة في المسرواية
(حتى يطمئن قلبى)
للكاتب : السيد حافظ
بقلم : أ. رضوى جابر

ملاحظة مهمة لك صديقي القارئ :

أولا : هذه سردية، وليست رواية عادية ولكنها ربما تكون مسرواية أي رواية تأخذ المسرح معها في عناق وتلاحم ، وهو حلم توفيق الحكيم في بنك القلق وكذلك كان حلم يوسف إدريس في نيويورك ٨٠ وهي ليست حلمي الان ، بل هي مشروعي. عزيزي القارئ بين يديك الجزء الخامس من مشروعي ، ... فتعطر وتأهب واشرب قهوتك واخلع نعليك وأسترخ وتنبه؛ فأنت شريكي وصديقي. هيا بنا نرحل معا عبر الحكاية.

ثانيًا: هذا المشروع هو منفصل متصل يعني أن كل جزء منفصل، وأيضا متصل بالأجزاء الأخرى لأن لي خبرة متواضعة في الكتابة للمنفصل المتصل في الدراما التلفزيونية ولا تندهش أن وجدتها هنا

ثالثا: استعد صديقي وشريكي القارئ في هذه المسرواية أو الرواية أو هذه السردية النوعية سوف أقوم فيها بالابتعاد عن التاريخ المزور والمسكوت جزء قمت بهذا لأننا قمنا بتزوير التاريخ وقدمناه للناس ، وأنا مثلك درست التاريخ المزور في المدرسة وحتي الآن.. ولكن بحثت وقرأت وصححت لعلي أنفع الناس وأكشف الغمامة عن عيونهم وأن يعملوا عقولهم.

تأتي هذه الملاحظة في بداية المشروع لقراءة (المسرواية) الاسم الذي يروق لي بعد قراءة هذا العمل الهام.

بدأ السيد حافظ المسرواية بملاحظات هامة وكأنه لا يريد ان يفاجئ

القارئ يما بين دفتي المسرواية لذلك قرر السيد حافظ كتابة هذه الملاحظة مع تقسيمها لنقاط

بدأها بالتعريف هذه سردية أي أنها تنتمي لجنس السرد المتعارف علية ولكن يستأنف الكلام لكنها ليست رواية عادية ولكنها ربما تكون مسرواية ، ليكمل الكاتب كلامه بذكر أهم من كتبوا المسرواية أو الكتابة عبر النوعية أو تعدد الأصوات.

يستدرك السيد حافظ لتوريط القارئ فيهيئه نفسيا وجسديا للقراءة فيقول أنت شريكي وصديقي.

في النقطة الثانية يبرر الكاتب شكل كتابته الجديدة ليمهد للكاتب طبيعة العمل المنفصل المتصل وكأنها دراما تلفزيونية فيقول. لا تندهش أن وجدتها هنا.

في النقطة الثالثة يصدم القارئ بأن كل معظم التاريخ الذي قرأه مزور أو يمكن ان يكون معظمه مزور فكل ما تم دراسته كان خطاء بالفعل وكأننا اصبنا بالعمي حين صدر لنا التاريخ المزيف ، ليصرح ان هدف مشروعه الكتابي يأتي ليزيل الغشاوة والعمي وتصحيح ما تم تصديره لنا من تاريخ مزيف تماما.

من خلال التسمية التي راقت لنا وهي المسرواية. المسرواية كما عرفها السيد حافظ رواية تأخذ روح المسرح معها ، ولم يقتصر عمله الأدبي علي انصهار المسرح بالرواية فقط ولكن تداخلت معظم الأجناس الأدبية فتداخل في الرواية القصة والومضة والشعر والبرنامج الإذاعي والأذان والمسرح وفواصل كالركعة أيضا.

كلها أشكال دخلت إلي الرواية فزادت من جمالها وتشابكها ومحاولة إثراء العمل الأدبي مما وضعنا الكاتب علي نقطة هامة العمل الذي يجمع كل هذه الأشكال هل يتم رؤيته كما نري الرواية التقليدية الخالصة فقط أم أننا نحتاج إلي ما نسميه هنا (المعايير الجديدة) في قراءة الرواية الحديثة نعم معايير جديدة ليست لشيء جديد ولكن لشيء قد كان واحياه السيد حافظ ببراعة فاقت الوصف ، منذ البداية يضع السيد حافظ أقدامنا علي بداية مفتاح خريطته (المسرواية) حتي لا نتعثر في مستويات العمل الذي بين أيدينا ، بين أيدينا الروح الخامسة التي اختار لها الكاتب شكل المسرواية ولأنه كما وصف علي معرفة بكتابة المنفصل المتصل ، اختار الكاتب من خلال العمل ان يدمج في العمل أشكال معينة من الأدب وأيضا ضمن الأذان والركعات فنجد أول فاصل للكاتب كان عبارة عن ركعتان علي روح أبي ذر الغفاري(ص ٤٨) لعبر بأول فاصل عن روح إيمانية تعم المكان عن الهالة الروحية التي حاول الكاتب ان يحيط بها عمله وكأنه يستغيث بأهم الشخصيات دينيا وثقافيا في مجتمعنا ثم ينتقل بنا ومازال في فاصل الرواية (ص٤٩) مع برنامج حكايات قراقوش قسمها إلي حكايات بالترتيب الحكاية الأولي الثانية وهكذا ومن خلال برنامج حكايات قراقوش يحكي القصة كاملة وكيف كان قراقوش علي حقيقته دون تزيف للتاريخ ليصطدم القارئ بأول أشكال تصحيح التاريخ بكل بساطة وسلاسة في الحكي ثم يعود بعد ذلك إلي الرواية.

نجد بعد انتهاء الفصل الأول من الرواية نجده في ص ٩٦ يقول: "حان الأن موعد الأذان حسب التوقيت المحلي بصوت الشيخ محمد رفعت "

وبعدها همسة ودعاء ويحيلنا إلي ص ٥٤٦

وها هنا أمام نوع جديد من الفواصل هو الفاصل الثالث في الرواية الأذان وبصوت الشيخ محمد رفعت فلماذا اختار حافظ الشيخ محمد رفعت تحديدا من وجهه نظري أري اختياره له كان لأنه المقرئ المشهور الذي اعتلي معظم أئمة المساجد لما له من شهره واسعة وقيمة عظيمة في نفوس المصرين تحديدا يعد استخدام هذه الفاصلة من النقاط الجديدة التي تحسب للكاتب ليوحي الأذان بالطمأنينة للقارئ مرة وللكاتب مرة وللبطل مرة من هنا يحسب للكاتب هذه التقنية الهامة أو السمة الجديدة.

ليكمل ص ٩٧ بفاصل من نوع مغاير هو الفاصل الرابع وهو برنامج الشعر العالمي وهنا تأتي قضية التضمين الذي تحدثنا عنه في دراسة سابقة بعنوان (التضمين الشعري في رواية كل من عليها خان ، رضوى جابر ، مجلة الثقافة الجديدة)

وهنا يأتي الشعر من خلال برنامج الشعر العالمي ليتضمن مقطع شعري من أشعار جيمس جويس ، ثم يعود في الفاصل الخامس بالحكاية الثانية من حكايات قراقوش ص ٩٨ .

أما عن الفاصل السادس اسماه الكاتب ومضة ص ٩٩ ، لتتعدد فواصل الرواية باختلافها كي لا يمل القارئ وتأتي محملة كل منبها بدلالتها الخاصة التي لا تفصلنا عن العمل بقدر أنها تحاول ان تربطنا به من ملامح الشكل والمضمون لتبرهن اختلاف الفواصل علي ضرورة التزامنا في القراءة بالبحث عن المعايير الجديدة التي نتناول منها النص،

ليعود الكاتب بعد ذلك إلي الفصل الثاني من روايته بعنوان والجوع يسرق

الفرح من العشاق محاولا في كل فصل عرض قضية مفضلة لكنها متصلة في ذاتها فيختتم فصلة بفاصل آخر ليعيد الفواصل ولكن بإضافة فاصلة جديدة أو بحذف مؤقت لفاصلة كانت في الفاصل الأول نجد ص ١٣٣ الأذان بصوت الشيخ صديق المنشاوي ومعه نبذة عنه مختصره لعل من يقرأ لا يعرف من هو ويحيلنا إلي باقي الفاصلة لصفحة ٥٥٩ ، ثم يعيد لنا فاصلة الشعر العالمي وما اجمل الاختيار للمقاطع وخاصة شعر بودلير صفحة ١٣٤ ، ثم يحكي لنا الحكاية الثالثة من حكايات قراقوش بسرد وتتابع شيق ص ١٣٦ ، وفي هذا الفاصل الكبير الممتع نجده يضيف الفاصلة من الشعر العربي ص ١٣٧ ليختار في هذا الجانب شعر من أشعار الشاعرة نجاة محمد صادق.

ثم ينتقل إلي الومضة كختام للفاصل كما ختم بها الفاصل الذي قبلها وكأنه يهدي للقارئ فسحة من الفاصل الغير مرهق برع الكاتب فيه بإيصال معلومات شديدة الأهمية التي جاءت في حكايات قراقوش علي مدار فواصل المسرواية ، تنوعت لنسردها هنا بشيء من التفصيل

الأذان : جاء منذ أول فاصل في العمل الأدبي جاء بصوت الشيخ محمد رفعت ، وبصوت محمد صديق المنشاوي ، وبصوت الشيخ محمود الحصري، وبصوت سيد النقشيندي ، وبصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد.

أما عن الركعات: فجاءت ركعتان أبي ذر الغفاري، ركعتان علي روح سعد الدين الشاذلي، ركعتان علي روح نزار قباني، ركعتان علي روح جلال الدين الرمي، ركعتان الأولي لروح نزار قباني، والثانية لروح

محمود درويش، خمس ركعات جاءت موزعة علي فواصل الرواية بالتفاوت وكأنه يذكرنا في كل مرة بشيء في متن الرواية نفسها.
أما عن برنامج حكايات قراقوش فجاءت مرقمة إلي الحكاية التاسعة وأيضا موزعة بالتفاوت علي فواصل الرواية فليس شرطا ان يأتي في كل فاصل بحكاية له.
أما عن الشعر العالمي فجاء عدد ذكره علي مدار المسرواية أربعة مرات تم ذكر الشعر العالمي ومرة واحدة ذكر فيها الشعر العربي.
وضمن الشاعر برنامج فاروق شوشة لغتنا الجميلة وذكر تحت هذا العنوان قصيدة للشاعر سمير عابدين.ص ٤٦٧.
أما عن استخدام الومضة السردية التي تناثرت علي فواصل الرواية جاءت متماسكة حملت معني الومضة في شكلها ومضمونها وكان عددها داخل الفواصل ٦ ومضات سردية جاءت تقريبا بمعدل في كل فاصل ومضة وان دل هذا فيدل علي حب الكاتب لهذا الجنس وانه أراد منه ان يأتي بأفكار لا تسمح بأن تحملها غير الومضة فهي الأنسب لها.
هذا من ناحية الشكل ، الشكل جاء المسرواية مقسمة علي هيئة فصول كل فصل تميز بشيء يخصه كل فصل اتخذ له الكاتب عنوان ألا فصل اختلف إلي حد ما عند الكاتب وهو الفصل الرابع فقال
عدنا من الفاصل إلي الرواية
هذا الفصل القادم من الرواية منفصل متصل
وللعشق بهاء وضياء
هذا الفصل الوحيد الذي اختلف عن فصول المسرواية بتعريف الكاتب به

للقارئ وكأنه يقول أنا علي عهدي بك منذ البداية ان اعلمك عن كل جديد داخل نصي المتواضع.

نلاحظ في العمل الذي بين أيدينا الذي سماه الكاتب المسرواية وعرفها في بداية الولوج إلي نصه بأنها مسرواية انصهار الرواية بالمسرح نجد ان الكاتب علي غلاف العمل كتب رواية ويمكن ان يكون هذا حتي لا تكون مختلفة عن سلسلة روايته التي بدأها حتي وصل إلي الروح الخامسة ، أما داخل العمل برغم تصريحه إنها مسرواية ألا انه في كل مرة يعود منها من الفاصل يقول عندنا إلي الرواية ولا يقول مسرواية إلا فقط في الفاصل الأخير الذي انتهي عند صفحة ٤٦٩ في الصفحة التي تليها قال: عدنا إلي (المسرواية) وكأنه أخيرا صرح بالاسم الذي اختفي من أول مره ذكره فيها في البداية ص٨ لينتهي الكاتب من المسرواية ص ٤٨٦ بقوله :

" وهمت به وهم بها "

"سلمي وسرين وبيرتون"

في الجزء القادم إن شاء الله

تمت المسرواية هنا إلي اللقاء في الجزء السادس إن شاء الله

القاهرة الهرم نهاية ديسمبر ٢٠١٦

وهنا اعتراف آخر إنها مسرواية وإنه الجنس الذي أراد إحيائه قبل ان يندثر أكثر.

لا يمكننا تصنيف الرواية أنها تاريخية بحته ولا ننكر أنها قائمة علي التاريخ ألا ان المسرواية كما هي انصهار الرواية بالمسرح هي أيضا

انصهار التاريخ بالاجتماع والواقع ومدي دلالته علي الشخصيات في المسرواية صرح السيد حافظ انه لا يكتب التاريخ بل يصححه

كلنا نعرف ان صلاح الدين كما صدر لنا انه بطل الأبطال القائد العظيم صاحب الأمجاد هذا هو التاريخ الذي تم وضعه في العقول عنه دون تدخل منا وكأننا أطفال يزج لنا الطعام حتي نكبر ولكن حين يصدر لنا التاريخ مغالط ويشوبه الشكوك وقتها لابد لنا ان تبحث عن التاريخ الأصلي دون مغالطة أو تزوير انتهج السيد حافظ هذا المنوال منذ أولي أعماله إلي الروح الخامسة التي بين أيدينا من منا يعرف ان أيام حكم المستنصر بالله اكل أهل مصر لحم بعضهما من شدة المجاعة التي حلت عليهم من منا كان يعرف ذلك وتاريخنا تم طمسه حتي يظهر الحاكم بالشكل المنمق دون شيء يشوبه عادة مصر وعادة أهلها هم من صنعوا الفرعون وهم من عبدوه من منا أيضا كان يعلم ان مصر أيام صلاح الدين كانت في أسوا حال لها وان صلاح الدين كان يهتم اهتمام شديد بالشئون الخارجية وتم إهمال مصر وأهلها وجشع أهلها وتسليم مقاليد الأمور إلي قراقوش الظالم لهذا زوروا التاريخ وطمسوه.

حين خاض السيد حافظ هذا الطريق لم يلتفت بما يقال ولكنه كان دؤوب البحث لم يتفوه فمه كلمه ألا بالمراجع لنجد في بداية المسرواية علي لسان السيد حافظ

"لست أنا الأول الذي يبحث عن صلاح الدين ولست الأول من يقول الحقيقة التي عميت عنها أعيننا فالرجل ليس بنبي ولا ولي ولا من الصالحين فقد وصفه من قبل المؤرخ أبو شامه بقوله "البذيء" ووصفه

المؤرخ ابن كثير ب "السفيه" ووصفه المؤرخ محمد كرد علي ب "صاحب الأباطيل "ووصفه معظم المؤرخين الذي يصفونه بالجهل المطبق والتفاهة والتحامل والاجترار والعمي والذب علي الحق وتزييف التاريخ بكعوب الأحذية!! (حتي يطمئن قلبي صفحة١١)
هذه هي البداية الخاصة بصلاح الدين داخل العمل لا يمكن ان نصف السيد حافظ هنا بالمتحامل فمن قراء التاريخ جيدا يعرف ان كل حرف يضعه حافظ في هذا الموضع هو صحيح تماما ولا يمكن تكذيبه فلا يبحث السيد حافظ عن معجبين وفلاشات الكاميرات حتي يقال عنه أديب حق هو أديب دون شهره أو جوائز فمن وجهه نظري الكاتب الذي يعري الموجود ليصل اللي الحقيقة هو الكاتب المميز ، لنعود إلي النقطة الشائكة التي طرحها الكاتب من خلال عمله وهي الكشف عنم حقيقة صلاح الدين من هو وهل حقيقة هو ليس رمز البطل المغوار ام ان الكلام محض افتراء ليؤكد السيد حافظ خلال المسرواية كل كلمة يذكرها مدعما ما يقول بالتاريخ والمراجع والوثائق القديمة التي يتعامى عنها أصحاب الأهواء
صفحة ٣٠٥ يبدأ الكاتب بذكر التاريخ منذ تولي صلاح الدين الوزارة فقد تم تعينه بعد ان توفي اشد الدين شيركوه وكان عمر صلاح الدين وقتها عن اثنين وثلاثين عاماً..يستطرد السيدمصطفي.لحديث عن التاريخ فقط مدعما كلامه بالمراجع فأستعان مثلا في هذا الموضوع بعده مراجع وهي كما ذكرها في هذا الموضع
- دكتور شاكر مصطفي..صلاح الدين صفحة ٩٢

- ابن الأثير ج ١١ صفحة ٣٤٦
- أبي شامة ج ٢ صفحة ٤٥٢_٤٥١
- المقريزي الخطط ج ٢ صفحة ٣٩٦
- ابن تغرى بردي النجوم الزاهرة ج ٥ صفحة ٣٥٥
- أبو شامة في الروضتين ج ١ صفحة ١٧٨

هنا لم يذكر السيد حافظ المراجع حتي يكذبه احد فمعظم المثقفين يعلمون الحقيقة ولا احد يجرؤ علي الإفصاح بها ألا انه ذكر المراجع لأننا بحاجة أن نعرف كل ملابسات التاريخ الذي تم تزويره.

من هذه النقطة لا يمكن وصف كتابات السيد حافظ بالتاريخية كما قولنا البحتة وإنما هو انصهار وفق فيه الكاتب إلي حد كبير في مسروايتة.

لهذا كان علينا ان نبحث عنها مضامين المسرواية بمعايير جديدة لا تخضع لمناهج النقد المتعارف عليها وهذا لا يعني أنكار للمناهج عامة بل يتم منها الاقتباس والاستنباط علي محمور المضمون داخل العمل يمكننا الحديث عن تداخل الأجناس خاصة المسرح أو السيناريو الظاهر بشدة مع أحداث سير الراوية دون خلل في جانب منهم أيضا نجد قواعد الرواية لم تسقط بجانب قواعد المسرح إلي جانب القصة والسيناريو كل منهم له قواعده وكأن الكاتب فنان قادر علي المزج دون خلل في الشكل أو المضمون او حتي الاتيان علي حدود الجنس الاخر.

العمل المنفصل المتصل اعتمد الكاتب بشكل كبير علي هذه التقنية التي تظهر كثيرا في الدراما التلفزيونية ببراعة شديدة وتمرس في هذه التقنية نقلها حافظ إلي مسروايتة التي بين أيدينا لم تظهر من خلال تقنية الكتابة

استعراض الكاتب لملكاته الخاصة فقد ظهر لنا التقنية بشكل سلس دون غموض يرهق الذهن أو ملل من القارئ فعلي الرغم من كبر حجم المسرواية ألا ان القارئ لا يشعر بشيء من الملل مطلقا نظرا لبراعة الكاتب وكيفية سرده للأحداث.

أما علي مستوي اللغة في المسرواية : نجده اعتمد علي عدة مستويات داخل عمله من مستويات للمتلقي المثقف والمتلقي العادي ، واستخدامه للمفردات الحية في كل جزء علي حدا.

القدرة علي الحكي في سلسلة متناغمة برع الأديب السيد حافظ بعرض ثلاث حكايات منفصلة متصلة في عمل واحد الروح الذي يكمل سلستها من أول جزي من الروح الأولي إلي الخامسة وهي "لامار" وقصتين العشق بين" فتحي" و"سهر" "شارو" و"العالية " ثلاث حكايات جاءت بشكل منفصل متصل يبرع الكاتب في المزج وتنامي كل قصة دون قطع في الحكي أو ملل من القارئ فتحسب له كونه كاتب مميز متمرس في الكتابة.

بقلم : رضوى جابر

سيرة ذاتية

الاسم : رضوى جابر شعبان

المهنة : طالبة بكلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها الفرقة الرابعة

الاهتمام بالأدب وخاصة النقد

تم عمل عدة دراسات نقدية وهذا من نتاج ورش من قصور الثقافة المختلفة

الأعمال النقدية :

١- التضمين الشعري في رواية (كل من عليها خان) للكاتب السيد حافظ.

٢- القهر في رواية (كل من عليها خان) للكاتب السيد حافظ .

٣- الوجهة النفسية في المجموعة القصصية (أنصتوا) للقاصين أحمد فضل و مصطفي شكري .

٤- قراءة سميائية في رواية خيط سحري للكاتب حسام نور الدين.

٥- النظرة التشائمية في المجموعة القصصية (وجبة عشاء لذيذة مقابل حياتك) للقاص محمد رجب عبده

٦- قراءة نقدية وتحليلة في رواية الانفوشي للكاتب محمد عزام .

٧- قراءة تحليلية سميائية في رواية شرائح للكاتب احمد الدسوقي (حائزة علي جائزة احسان عبد القدوس في الرواية)

٨- قراءة تحليلية في ديوان شعر (زي ما بتقول الاسطورة) للشاعر تامر أنور.

٩- قراءة موضوعية وتحليلية في ديوان شعر (إليها) للشاعر كارم أحمد.

١٠- تحت التنفيذ كتاب نقدي يضم هذة الدراسات.

تم نشر بعض الدراسات في بعض المواقع الالكترونية والبعض الآخر مازال تحت البحث.

التليفون: ٠١٢٠٧١٩٣٨٦٠

البريد الالكتروني _Radwagaber44@yahoo.com

العنوان: ٩٨ ش رشيد رضا القباري الإسكندرية

نبذة عن الكاتبة

د. نجاة صادق الجشعمى

- من مواليد البصرة – العراق
- عملت بسلك التدريس في وزارة التربية والتعليم
- حصلت على رسالة الدكتوراة من الجامعة الأمريكية في التاريخ.
- حاصلة على دبلوم تنمية بشرية "دبلوم منهجية الرعاية الخاصة مهارات ومهارات حسية"
- حاصلة على دبلومة "إعداد البرامج العلاجية فى تنمية المهارات وتعديل السلوك".
- حاصلة على دبلومة "إعداد مدرس مساند".
- حاصلة على دبلومة "إعداد برامج علاجية فى مجال الاضرابات النمائية (نظرى – عملى)"
- حاصلة على دبلومة "برنامج تدريبى مكثف فى تعديل السلوك"
- حاصلة على دبلومة "البرنامج التدريبى المكثف (التكامل الحسى) بشقيه النظرى والعملى"
- حاصلة على دبلومة " الوظائف التنفيذية للمخ"
- حاصلة على دبلومة "تشخيص الاضطرابات النمائية"
- حاصلة على دبلومة " معلم صعوبات التعلم دفعة ٤"
- تكتب دراسات حول الأدب والمسرح العراقى ونشرت في عدة صحف أهمها جريدة "مسرحنا" جمهورية مصر العربية.

لها العديد من الكتب :

١- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء أول)
٢- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء ثانٍ)
٣- التنوع الدلالى في مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج
٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل في الوطن العربى
٥- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة
٦- ديوان لست مؤهلة للعشق
٧- حكايات نساء بغداد والبصرة بين الندم والحسرة
٨- عواطف البدر رائدة مسرح الطفل في الكويت
٩- المشاكس "رحلة في رحاب الكاتب السيد حافظ

١٠- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين
١١- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب (جزء١ ،٢)
١٢- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج أول)
١٣- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج ثان)
١٤- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية.
١٥- فرسان المسرح العربى "من أجل النهوض بفن المسرح"
١٦- إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس نموذجًا "رواية لو لم أعشقها" للكاتب السيد حافظ.
١٧- الحب ما بين الاصطلاح والرمزية – دراسات نسوية.
١٨- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية وعولمة النقد – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب".
١٩- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب".
٢٠- العنونة ما بين الصورة والزمانكية فى الرواية – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب".
٢١- الشخصيات ما بين المرئى واللامرئى والثابت والمتغير في السرد الروائى- ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان".
٢٢- السرد الروائى مابين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان".
٢٣- التجريب ومكونات البنى السردية الرواية - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان".
٢٤- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الخامس - نموذجًا رواية "حتى يطمئن قلبى". ط ٢٠٢١

لها تحت الطبع :

- شذى سالم نجمة العراق

الفهرس